عصر يوم الاربعاء المقعد
١٣٨٠ هـ
٢٦ ابريل ١٩٦١ م

سورة آل عمران مدنية نزلت بعد الانفال وهي مائتا اية

45 111

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٤

نزلت هذه الايات فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم احدهم اميرهم وثانيهم وزيرهم وثالثهم حبرهم. فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم. فتكلم منهم اولئك الثلاثة معه صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيى الموتى. وتارة هو ابن الله اذ لم يكن له اب. وتارة انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا. ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت. فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم: الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يموت قالوا بلى. وكر عليهم ادلة كثيرة وهم يقولون بلى. ثم قال: فكيف يكون عيسى كما زعمتم. فسكتوا وابوا الا الجحود. فانزل الله من اول السورة الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به النبى عليهم. اه. ابو السعود. جمل. (الٓمٓ) تقرأ الف - لام - ميم - تمد اللام والميم ساكنة. واذا وصلت بلفظ الجلالة جاز فى الميم المد والقصر. وقرئ بفتح الميم وحذف الهمزة من لفظ الجلالة للتخفيف وقرئ بسكون الميم وقطع الهمزة. (الله لا اله الا هو الحى القيوم) الثابت له صفة الحياة القائم بذاته. روى احمد ابو داود والترمذى عن اسماء بنت يزيد قال صلى الله عليه وسلم: «اسم الله اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين - والهكم اله واحد لا اله الا هو الحى القيوم وفاتحة آل عمران الٓمٓ - الله لا اله الا هو الحى القيوم. (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) القرآن المكتوب بالتدريج (بالحق) المطابق للواقع (مصدقا) ومؤيدا (لما بين يديه) لما سبقه من الكتب المنزلة على الانبياء السابقين (وانزل التوراة) على موسى وهو كلمة عبرانية معناها الشريعة (والانجيل) على عيسى وهو كلمة يونانية معناها البشارة والتعليم الجديد. (من قبل) قبل تنزيل القرآن. ليكون (هدى للناس) الى ما فيه خير الدنيا والاخرة. (وانزل) على الناس (الفرقان) اى التفرقة بين الحق والباطل. (ان الذين كفروا) بعد كل هذا (بايات الله) فى الكتب المنزلة الدالة على وحدانيته (لهم عذاب شديد) عقاب لهم فى النار (والله عزيز) بغلبته (ذو انتقام) ينتقم بسلطان عزه.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

بعد ان انذر الله الكافرين بآياته بعذاب شديد وعقوبة شديدة ذى انتقام اراد ان يشعرهم بانه سبحانه لا يخفى عليه شئ من امر كفرهم سواء كان ظاهرا ام باطنا فقال: (ان الله) مالك جميع هذه الوجود (لا يخفى) ولا يستتر ويتوارى (عليه شئ) من امر المؤمن الصادق والكافر والمنافق - ولا حال حال من اسر الكفر واستبطن النفاق واظهر الايمان والصلاح.

كائن ما كان (فى الارض ولا فى السماء) لانهما مملكتان بمختلف القوى ذات الخواص المختلفة التى لا يعلم عددها غيره سبحانه وتعالى. وكل حركة او سكون لا تكون الا بواسطة احدى تلك القوى وهو عالم بها وبما تستعمل فيه. كقوله تعالى فى سورة يونس: ٦١ «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين».

(هو الذى يصوركم) ينشأ شكلا بصور مختلفة واجزاء متغايرة فى الشكل والطبع والصفة (فى الارحام) الضيقة بدقة متناهية. الارحام جمع رحم وهو مستودع الجنين من المرأة (كيف يشاء) من ذكر وانثى او خنثى - مخلقة وغير مخلقة - اى كامل التكوين او ناقصه - فلا يخفى عليه شئ من اسراركم ودخائل امركم. قال الله تعالى فى سورة الحج: ٥: «ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا» الاية. قال الشيخ عبده فى تفسيره: ومن عرف ما فى تصوير الاجنة فى الارحام من الحكم والنظام علم انه يستحيل ان يكون بالمصادفة والاتفاق واذعن بان ذلك فعل عالم كبير بالدقائق حكيم يستحيل عليه العبث عزيز لا يغلب على ما قضى به علمه وتعلقت به ارادته واحد لا شريك له فى ابداعه (لا اله الا هو العزيز الحكيم).

تضمنت هاتان الآيتان ما يأتى - ١- رد على نصارى نجران الذى اتخذوا من اخبار عيسى عليه السلام ببعض المغيبات دليلا على الوهية عيسى. وجه الرد ان الاله هو الذى لا يخفى عليه شئ وعيسى يخفى عليه اشياء باعترافهم. فلا يصلح ان يكون الها - ٢- الرد على النصارى القائلين بالوهية عيسى لابرائه الاكمه والابرص واحيائه الموتى مع العلم بان الله هو الخالق لاسباب اعضاء الانسان والمصور لها بداخل الارحام - ٣- ان الاله هو الذى يصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى صوره الله فى الرحم فهو من جملة خلقه. وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله.

هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله
الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب ٧

قيل ان وفد نجران قالوا للنبي: الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال بلى. قالوا
فحسبنا ذلك. فرد عليهم (هو) الله (الذي انزل عليك الكتاب) القران (منه) بعضه (ايات
محكمات) احكمت عبارتها واضحات الدلالة تنصرف الى المعنى المراد منها من غير احتمال ولا اشتباه
(هن ام الكتاب) اصله المعتمد عليه في الاحكام واليه يرد غيرها من المتشابهات. (واخر) اي البعض
الاخر ايات (متشابهات) محتملات لا تفهم معانيها بسهولة الا بالفحص والنظر. بيّن ان الكتاب قسمان
قسم يفهمه الناس بالضرورة وقسم لا يفهمه امثالهم ولا يمكن صرفها على مجرد الظاهر كاوائل السور
ومنه كلمة الله وروح منه. ثم قال: (فاما الذين في قلوبهم زيغ) ميل وعدول عن الحق من
قصار النظر وضعاف الايمان (فيتبعون ما تشابه منه) ويأخذون على ظاهر اللفظ المتشابه
ويتعلقون به من غير تطبيق على المعنى المحكم (ابتغاء) طلب (الفتنة) يفتنون الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ولو ناقض ذلك محكم الآيات التي تنص على انه «ليس كمثله شيء»
بقصد اضلال العباد وفتنتهم في عقيدتهم من اثبات بعض صفات الله سبحانه مثلا وسيلة
للتجسيم كالاستواء واليد. (وابتغاء تاويله) من الاول وهو الرجوع الى الاصل.
وابتغاء تاويله اي واجتهاد في طلبه ارجاعه الى حقيقته وطلب انا يؤولوه على ما يشتهونه لاجل
ان يكون لهم ميدان للحدس والتخمين لما يوافق اهواءهم (وما يعلم تاويله) اي والحال انه لا يمكن
لاحد ان يعلم بحقيقته ما يؤول اليه (الا الله) وحده. الوقف هنا قول ابي بن كعب وعائشة وعروة
ابن الزبير واكثر السلف وهو اسلم. (والراسخون) المتمكنون الثابتون (في العلم) وهم من وجد
فيه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا
والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. فان (يقولون امنا به) بالمتشابه انه من عند الله ولا نعلم معناه
نحن سلمنا وصدقنا بالكتاب بقسميه المحكم منه والمتشابه. (كل من عند ربنا) فلا ينبغي ان نصدق
بشيء دون شيء. ولا ان ننزه الله عما وصف نفسه به في كتابه. فنثبت لله ما اثبته لنفسه
ونجريها على ظواهرها. ومن وقف كافي. وما بعده معترض من كلام الله يمدح الراسخين
بجودة الذهن (وما يذكر الا اولو الالباب) اصحاب العقول.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۸
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۹

والراسخون الى جانب لهذا الايمان والتسليم - ويقولون: كل من عند ربنا، يدعون ربهم بقولهم: (ربنا) ثبتنا فى عقائدنا و(لا تزغ قلوبنا) تملها عن الحق بشبه المبطلين (بعد اذ هديتنا) الى الايمان بآياتك وتصديق ذلك (وهب لنا من لدنك) من خزائن وهبك (رحمة) تستر بها ما تبدو لنا من قصور وما يصدر من ذنوب: وتهدينا بها الى سبيل النجاة لديك. ونحن بالعجز موصوفون وبمواضع الزلل محاطون ولا تكلنا الى اعمالنا. وفى الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه. وعنه الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم «ان قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب فى اليوم سبع مرات. ورواه البيهقى عن ابى عبيد؛ وعنه صلى الله عليه وسلم «ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء» رواه احمد ومسلم فى صحيحه عن ابن عمرو (انك انت الوهاب) الذى لا تنفد خزائن وهبك (ربنا انك جامع الناس) للحساب بعد موتهم (ليوم) معلوم هو يوم القيامة (لا ريب فيه) فى مجيئه ووقوعه. لا ريب فيه وقف كاف لانه آخر كلام الراسخين، وما بعد من كلام الله. ووقف حسن لانه من كلام الراسخين على وجه الالتفات من الخطاب الى الغيبة. (ان الله لا يخلف الميعاد). اى الموعد الذى وعد به وقوعه فى ذلك اليوم من الجنة والنار. روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: تلا رسول الله هذه الاية «هو الذى انزل عليك الكتاب» الى آخرها وقال: فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه» فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم. — واخرج الطبرانى عن ابى مالك الاشعرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا اخاف على امتى الا ثلاث خلال ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا ويقتتلوا، وان يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب، وان يوزاد علمهم فيضيعوه ولا يسألوا عنه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

بعد ان بين الله مايقوله الراسخون فى العلم ومايدعون ربهم به من الرحمة وماحكاه عنهم من اعترافهم بالبعث وعدم خلف الله الوعد اراد ان يبين حال الكافرين بآياته فقال: (ان الذين كفروا) بآيات الله واتخذوا منها وسيلة للفتنة والضلال (لن تغنى) ولن تنفع ولن تدفع (عنهم) فى هذه الحياة الدنيا (اموالهم) التى يعتزون بها ويعتمدون عليها ويبذلونها فى جلب المنافع ودفع المضار (ولا اولادهم) الذين يتناصرون بهم فى الامور المهمة (من) قضاء (الله) ونعمه اذا حلت بهم (شيئا) اذ النافع والضار هو الله. وما الاموال والاولاد الا فتنة لقصار النظر الذين يعملون لهذه الدنيا ولا يفكرون فى الآخرة ولا يطمعون فى حصول رضاء الله بالتوحيد وخالص العبادات. فان صاحب القوة والجاه وصاحب الاموال والاولاد اذا وعظ بالدين لا يؤثر فيه الوعظ ولكنه اذا رأى ان الحق له واحتاج الى الاحتجاج عليه بالدين فانه يتغلب واعظه فهم لظلمة بصيرتهم وغرورهم بما اوتوا من مال وولد وجاه يتبعون الهوى فى الدين فى كل حال. (واولئك) الذين كفروا (هم) فى الآخرة (وقود النار) وحطبها الذى توقد به - وقرئ بضم الواو بمعنى اهل وقودها ... الاوان عادة هؤلاء الكفار من المعاصرين لك يا محمد وتعللهم وحيلهم فى تكذيبك وجحود الحق (كدأب) اى ادبهم وشأنهم فى ذلك كشأن (ال فرعون) وعادتهم فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) من الامم الكافرة مثل عاد هم قوم هود وثمود هم قوم صالح. كانوا (كذبوا بآياتنا) وهى اعم من ان تكون من معجزات الرسل او آيات الكتب المنزلة عليهم. (فاخذهم الله) باصنافهم وانزل عليهم انواع العذاب فى الدنيا ليكونوا عبرة لمن بعدهم. وقضى عليهم ان يكونوا وقود النار فى الآخرة (بذنوبهم) عقابا عليها ولم تغنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا (والله شديد العقاب) لا احد يستطيع ان يفلت منه.

تدل هاتان الايتان على ١ - ان الانسان بما اوتى من مال وولد لا يستطيع ان يقاوم قدرة الله - ٢ - ان من يكفر بالله وبآياته معرض لنقم الله فى الدنيا وعذابه فى الآخرة - ٣ - على الانسان ان يأخذ العبرة من مصير الامم السابقة التى حدثنا القرآن

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ١٢ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ١٣

قال ابن عباس وغيره: لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما انزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم. فقالوا: يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا - جمع غمر الرجل الغافل - لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس. فانزل الله عز وجل: (قل) يا محمد (للذين كفروا) الذين اغتروا بحولهم وقوتهم واعتزوا باموالهم واولادهم وحسبوا بقلة انفسهم القدرة على ضمان السلام والطمأنينة بما اوتوا من القوة والسلطان: انكم (ستغلبون) ستقهرون وستهزمون عن قريب في الدنيا. ويذيق بعضكم بأس بعض - وقد حقق الله ذلك. فقتل المسلمون بني قريظة في يوم واحد ستمائة، جمعهم في سوق بني قينقاع وامر السياف بضرب اعناقهم وامر بحفر حفيرة ورميهم فيها. واجلى عمر بن الخطاب بني النضير الى الشام كما فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وضرب الجزية على طائفة اليهود.

جوهري - جمع وهذه الآية من دلائل النبوة لانه خبر بعد تحقق فيما بعد (وتحشرون) وقرأ حمزة والكسائي **ستغلبون** ويحشرون بالياء. اي يعد غلبكم وموتكم في الآخرة (الى جهنم وبئس المهاد) اي الفراش. وقل لهم: والله (قد كان لكم) ايها اليهود (اية) عظمى تدلكم على ان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء وذلك (في فئتين التقتا) يوم بدر (فئة) قليلة مؤمنة (تقاتل في سبيل الله) وطاعته. وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (واخرى كافرة) وهم مشركو العرب تقاتل في سبيل الشيطان وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة. وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرونهم مثليهم رأي العين) رؤية ظاهرة. (والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده القليلين المجاهدين في سبيله كما ايا اهل البدر (ان في ذلك) اي تاييد الله من يشاء (لعبرة) وعظة (لاولي الابصار) والبصيرة النيرة التي تخلص بقوة التأمل والتفكير، وهذا ما يحتم عليها الايمان بقوة الله وعظيم سلطانه:

الحيوة

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ١٤

(زين) حسن (للناس) المكلفين فى هذه الحياة ما من شأنه ان يصرفهم عما فيه سعادتهم من الجهاد فى سبيل الله والعمل لاعلاء كلمة الله واقامة شرعه - (حب الشهوات) اى المشتهيات من ملاذ النفس التى تشغل القلوب عن حب الله والعمل لمرضاته. ومعنى تزيين حبها لهم ان حبها مستحسن عندهم لا يرون فيها شيئا ولا قبحا ولا غضاضة. وقد يحب الانسان الشئ وهو يراه من الشين لا من الزين ومن الضار لا من النافع. وبين سبحانه الشهيات التى يحبها الناس على ستة انواع: الاول (من النساء) والمتعة بهن اذ الاسترسال فى هذا الباب مما يفنى القلب ذكر الله ويشغله عن طاعته. قال صلى الله عليه وسلم «الشباب شعبة من الجنون والنساء حبائل الشيطان» رواه الخرائطى عن زيد بن خالد حسن. قيل: فيهن فتنتان. انهن يقطعن الارحام والصلاة بين الاهل غالبا. وهن سبب فى جمع المال من حلال وحرام. والثانى قوله (والبنين) اى الاولاد الذين يأخذون على الانسان كل عواطف الرحمة لهم لضعفهم وعونتهم فى حالة العجز واحياء الذكر بعد الموت - وقد يؤدى بهم ذلك الى الاعتماد عليهم من دون الله وهنالك الخسران المبين. والثالث حب (القناطير المقنطرة) والقنطار مائة رطل (من الذهب والفضة) اى كثرة المال وهو ما اودع الله فى الخزائن، قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ان يكون لهما ثالث. ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب. ويتوب الله على من تاب. رواه الشيخان عن ابن عباس. (والرابع من الخيل المسومة) المعلمة التى تعد للزينة والفخر (والخامس حب امتلاك الانعام) التى هى ثروة اهل البادية من الابل والبقر والجاموس والغنم (والسادس حب (الحرث) اى المزروع وهو ثروة الفلاح من النباتات بحبها وشجرها على اختلاف انواعها. (ذلك) المذكور من الانواع الستة (متاع الحيوة الدنيا) يستمتع به الناس فى الحياة الدنيا ويزول بزوالها. فلا ينبغى ان يجعل الانسان همه فى الحياة الفانى بل عليه ان يعمل لما بعد الموت. (والله عنده حسن المآب) حسن المرجع يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ١٥ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ١٦ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ١٧.

بعد أن بين الله نبيه من حب الناس للشهوات أمره أن يرشدهم الى ما فيه صلاحهم فقال:
(قل) يا محمد يا أيها الناس (أؤنبئكم) أخبركم (بخير) بأفضل وأحسن (من ذلكم) مما ذكر من متاع الدنيا الفاني. وهو (للذين اتقوا عند ربهم جنات) جواب الاستفهام. كلام مستأنف. جنات مبتدأ للذين اتقوا خبره. عند ربهم في محل نصب حال من جنات. وقرئ بجر جنات على أنه بدل من خير. وللذين نعت لخير. — للذين اتقوا الله بتجنب الشرك في الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار كثيرة (خالدين فيها) لا يخرجون منها أبدا (وأزواج) جمع زوج يطلق على البعل والزوجة (مطهرة) خالية من الدنس ومن كل ما يعتاد نساء الدنيا من الحيض ومن جميع الشوائب والتكاليف. (ورضوان من الله) والرضوان بكسر الراء وضمها وهو ضد السخط. جعل الله نعماه المتقين جزاءً على التقوى لقوله: نوعا جسمانيا نفسانيا وهو الجنات وما فيها: ونوعا روحانيا عمليا وهو رضوان الله تعالى. وفي هذا من اللذة العظمى ما لا يعرفه ولا يتصوره غير المحبين المخلصين وهم المستحقون لهذا الجزاء. (والله بصير) عالم (بالعباد) المتقين عند الله الموجبين رضوانه (الذين يقولون) بألسنتهم وقلوبهم: (ربنا إننا آمنا) بك وحدك لا شريك لك فلم نعبد غيرك ولا نستغني بسؤالك (فاغفر لنا ذنوبنا) سيئاتنا (وقنا) احفظنا (عذاب النار) المعد للكفار ثم وصف الله المتقين بأوصاف استحقوا بها تلك الدرجات العلى بأن يكونوا في حياتهم من:-
١- (الصابرين) الذين إذا أصابتهم مصيبة ذكروا الله أنها من قضاء الله فلم يسخطوا ولم يغيروا ذلك من حيهم الله شيئا.
٢- (والصادقين) الذين إذا قالوا صدقوا وإذا عاهدوا أوفوا وإذا أؤتمنوا لم يخونوا
٣- (والقانتين) الذين سلمت عبادتهم من الرياء مع ملازمتهم لها آناء الليل وأطراف النهار
٤- (والمنفقين) أموالهم في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله.
٥- (والمستغفرين) الطالبين المغفرة من الله بألسنتهم مع الندم (بالأسحار) حيث تطيب مناجاة الرب الملك الديان والناس نيام.
في هذه الآية فلمنا ان للتقوى ثلاثة أركان أساسية- الاعتراف لله بالوحدانية الربوبية الاقرار له بتوحيد الالوهية. ودوام التوجه الى الله بالدعاء.

شَهِدَ اللّٰهُ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِالْقِسْطِ ۭ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ
الْحَكِيْمُ ۝ اِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ الْاِسْلَامُ ۣ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ اِلَّا مِنْۢ بَعْدِ مَا
جَاۗءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۭ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ فَاِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝

يعد ان بين اساس المتقين اخفى بين اساس الايمان: (شهد الله) بخلقه بجميع لطفه
الموجودات (انه) هو الخالق المدبر لها (لا اله) فى الوجود يستحق العبادة والطاعة (الا هو)
(وشهد بذلك (الملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) الذين علموا بحثهم العلمى حقيقة
المخلوقات واسرار الكائنات وتصرف بارئ الارض والسموات شهدوا بما تنبئ
الله عليهم بانه تعالى فى كل احكامه وتصرفاته فى جميع مخلوقاته (قائما بالقسط)
بالعدل. حال من الله. (لا اله الا هو) لا شريك له. كرره للتاكيد. (العزيز الحكيم) فى
تصرفاته واحكامه. (ان الدين عند الله الاسلام) الدين اسم لما يعبد به الله. الاسلام
الانقياد لاوامر الله ونواهيه بلا اعتراض. ويطلق على الدين جاء به محمد صلى الله
صلى الله عليه وسلم. اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام. وكل ما تحداه قد انعى بقوله
تعالى: "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين."
(وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى فى دين الاسلام الذى يوافق اصل
ما فى كتبهم المقدسة وفى التوحيد (الا من بعد ما جاءهم العلم) اى بعد ما علموا حقيقة
الامر بانه هو الدين الحق بما كان اختلافهم إلا (بغيا) اعتداء وجحودا للحق (بينهم)
وطلبا للرئاسة، لا لشبهة وخفاء فى الامر (ومن يكفر بآيات الله) الداعية الى
توحيد الله الناطقة بما ذكر من الدين عند الله الاسلام ولم يعمل بمقتضاها
او باى آية كانت من آيات الله تعالى. ولهذا الكفر عبارة عن ترك الاذعان
بهذه الآيات والاستدلال بها. ومن لوازمه تاويلها بما يصرفها عن معناها
لتوافق مذاهب اهل التاويل ويجحدون ويكابرون فيما هو منصوص
عليه عندهم ويختلفون ويتنازعون فى المتشابهات (فان الله) ليس
بغافل عن اعمالهم وهو (سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم وتهديد لمن اصر
على الكفر بالآيات وعلى الاختلاف والبغى والفساد وغير ذلك.

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۚ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٢٠ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٢٢

(فان حاجوك) يعني اهل الكتاب او عام وجادلوك بعد ان جئتهم بالحق اليقين
يا محمد وعارضوك بما لديهم من الكتب المحرفة التي وضعها رؤساؤهم بعد ان اقمت
على الحق البينات في ان الدين عند الله الاسلام (فقل) لهم (اسلمت وجهي لله) وحده لا
شريك له، انا (ومن اتبعني) ممن صدق برسالتي من المؤمنين (وقل) يا محمد (للذين
اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) وهم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم
وان كانوا يقرؤن ويكتبون (أأسلمتم) هل انتم مسلمون. استفهام معناه امر اي اسلموا
كما اسلمت انا ومن اتبعني (فان اسلموا) هذا الاسلام (فقد اهتدوا) الى الحق
وفازوا الفلا بالسعادة الابدية. (فان تولوا) اي ادبروا وتركوا - يعني فان تولوا
معرضين عن الاعتراف بما سالت عنه واصروا على عنادهم (فانما عليك البلاغ)
لحقيقة الاسلام وما امرت به من الاحكام وقد بلغت (والله بصير بالعباد) عالم
بمن يؤمن فيثيبه وبمن لا يؤمن فيعاقبه. (ان الذين يكفرون بآيات الله) ~~وهم اليهود~~
جميعها او بعضها لان الكفر ببعض ما جاء به الرسول كفر بالرسالة وجميع ما جاء به الرسول.
(ويقتلون النبيين) ويعني بهم اليهود. الذين قتلوا كثيرا من انبيائهم (بغير حق ويقتلون
الذين يأمرون بالقسط) بالعدل (من الناس) اي الحكماء الذين يرشدون الناس الى
العدالة العامة - روي كان بنو اسرائيل يأتيهم الوحي على لسان الانبياء وهم يذكرونهم
ايام الله فيقتلونهم فيقوم المؤمنون بالانبياء فيذكرونهم بعقاب الله فيقتلونهم
فهؤلاء الذين يأمرون بالقسط من الناس
(فبشرهم بعذاب اليم) لابد منه عاجلا او آجلا (اولئك الذين حبطت) بطلت
(اعمالهم في الدنيا والآخرة) اي لا يقبل في الدنيا ولا يجازى في الآخرة (وما لهم) يوم
القيامة (من ناصرين) ينصرونهم من الله شيئا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾.

(الم تر) تنظر يا محمد (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا او جانبا (من الكتاب) اى التوراة
بمجرد التلاوة دون العناية بالمعانى بتفهمها والعمل بها. كيف انهم (يدعون الى
كتاب الله) التوراة. (ليحكم بينهم ثم يتولى) ويعرض (فريق منهم) عن العمل بالكتاب
الذى يؤمنون به اذ لم يوافق اهواءهم كما يفعل اهل كل دين فى طور انحلال
الدين وضعفه (وهم معرضون) بقلوبهم عن قبول حكم كتابهم لان تقيدهم ودأبهم
والعادة عندهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل (ذلك) التولى والاعراض
عن الاحتكام لكتاب الله (بانهم) بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات)
اى اياما قلائل. هى مدة عبادة آبائنا للعجل فقط. واما نقترفه نحن ذلك من الذنوب
فلا نعذب عليها. (وغرهم) وخدعهم (فى دينهم ما كانوا يفترون) يختلقون الكذب.
اخرج ابن ابى حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله. فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد: على اى دين انت يا محمد!. قال: «على ملة ابراهيم ودينه» قالا
فان ابراهيم كان يهوديا. فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهلما الى التوراة
فهى بيننا وبينكم» فأبيا. فانزل الله هذه الاية الى «ما كانوا يفترون» (فكيف) حالهم
(اذا جمعناهم) للحساب (ليوم) فى يوم (لا ريب) لا شك (فيه) ولا بد من مجيئه وهو يوم
يوم القيامة (ووفيت) هنالك (كل نفس) مؤمنة كانت او كافرة (ما كسبت) من خير
او شر (وهم) فى ذلك اليوم (لا يظلمون) ينقص من حسناتهم ولا بزيادة فى سيئاتهم.

2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ٢٧

روى انه عليه الصلاة والسلام «في وقعة الاحزاب سنة ٤ هـ» لما خط الخندق وقطع
لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون. فظهر فيه صخرة عظيمة لا تعمل فيها المعاويل.
فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول
من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في
جوف بيت مظلم. فكبر وكبر المسلمون. وقال: اضاءت لي منها قصور الحيرة «مدينة بقرب
الكوفة» كانها انياب الكلاب. ثم ضرب الثانية فقال: اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم.
ثم ضرب ضربة ثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على
كلها فابشروا. فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويخبركم ويعدكم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق. فنزلت (قل) يا محمد (اللهم) اي
يا الله. والميم عوض يا. (مالك) صاحب (الملك) السلطة والعظمة (تؤتي) تعطي (الملك) وتضع
التيجان على رؤس (من تشاء) وتختار (وتنزع) تقلع (الملك عمن تشاء) حتى تصيره لا شيء
بعد ان كان له كل شيء من الافراد والعشائر والفضائل (وتعز من تشاء) فعلا عبادك المؤمنين
واهل القناعة والرضا والطاعة حتى استطاعوا ان يقوموا بنشر الدعوة لدينك الحنيف.
(وتذل من تشاء) بنزعه والقائه لك [illegible]. فقد يكون العزيز ذليلا اذا ضعف
استقلاله بسوء السياسة والتدبير. (بيدك الخير) والشر. فكل شيء بقضائك وقدرك
وسائر وفق سننك وانت الفعال لما تريد (انك على كل شيء قدير) بعلمك ومشيئتك
(تولج الليل) تدخل طائفة من الليل (في النهار) فيقصر الليل من حيث يطول النهار والقدر
الزائد منه يتداخل في النهار. (وتولج النهار في الليل) فالليل يطول تارة والقدر الزائد منه يتداخل
في الليل. تبعا لمصلحة العالم وحاجة الحيوانات. واختلاف الفصول صيفا وشتاء (وتخرج الحي من
الميت) كاحياء الزرع من البذرة في التراب. والفرخ من البيضة والمؤمن من الكافر (وتخرج
الميت من الحي) كاخراج اللبن من الحيوان والثمار من الشجر والبليد من الذكي والكافر
من المؤمن. (وترزق من تشاء) من عبادك. وتبسط الرزق لمن تشاء تفضلا منك وكرما
(بغير حساب) بدون مقابل عمل ولا جهد منهم - لان العطاء على قدر الاستحقاق هو الذي
يسمى حسابا وعمل الانسان لا يفيد الله شيئا. فلا يمكن ان يكون الرزق محسوبا عليه ومرتبطا به
بل ان الرزق فضل وكرم منه كالموظف فرض له راتب وكلف بالعمل. فهو يأخذ راتبه في
كل شهر. اما عمله فعائد الى ذمته ومبلغ اخلاصه.

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ٢٨ قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ٢٩ يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ٣٠

سبب نزول هذه الاية ان جماعة من المسلمين كانوا يوادون بعض اليهود باطنا فنزلت
الاية نهيا لهم من ذلك (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) اى انصارا واعوانا يحبونهم بقلوبهم
ويكاشفونهم باسرارهم (من دون) اى غير (المؤمنين) لانهم الاولى بالمودة والمحبة. فان
من اكمل الايمان موالاة المؤمنين الذين هم احباب الله ومعاداة الكافرين الذين هم اعداء
الله. وفي حليه عن ابي نعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اوحى الله الى نبي من الانبياء
ان قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك واما انقطاعك الي فتعززت
بي فماذا عملت فيما لي عليك. قال يارب ومالك علي. قال هل عاديت في عدوا او واليت في
وليا؟. تاج التفاسير. (ومن يفعل) ذلك الموالاة (فليس) في عمله (من الله في شيء) فهذا ليس
من جماعة المحبين لله. وهو على حد قول القائل: "اذا والى صديقك من تعادى فقد عاداك وانقطع الكلام"
(الا ان تتقوا) تخافوا (منهم تقاة) مخافة من الشيء الذي يتقى من اذى وفتنة تحقق منها
ضرر المسلمين. (ويحذركم الله نفسه) بحذف مضاف اى ويخوفكم الله عقاب نفسه جل وعلا.
(والى الله المصير) فلا يهرب من عقابه (قل) يا محمد للمؤمنين (ان تخفوا) عن الناس
(ما في صدوركم) من محبة الله او اتخاذ غيره اولياء (او تبدوه يعلمه الله) لانه هو الخالق
وما خفي عن انظار الخلق لا يخفى على الخالق (ويعلم) ايضا (ما في السموات وما في الارض. والله
على كل شيء قدير) في الدنيا والاخرة. وهو الذي يملك الثواب والعقاب (يوم تجد كل نفس ما
عملت) في حياتها (من خير محضرا) حاضرا ومثبتا (وما عملت من سوء) وشر في هذه الحياة عند
ما تبصره معروضا عليه (تود) وتتمنى كل نفس (لو ان بينها وبينه) اى وبين ذلك اليوم وهوله
(امدا بعيدا) مسافة طويلة حتى لا تراه (ويحذركم الله نفسه) اى غضب نفسه. فان غضبه
شديد فاياكم فاياكم من هتك حرمه الموجب لغضبه (والله رؤف بالعباد) ومن رافته
بهم ان نبههم على ذلك اذ حذرهم من البحث والتفكر في ذاته.. كما روي في حديث: تفكروا في آلاء
الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا" رواه ابو الشيخ

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١
قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ٣٢

اخرج ابن المنذر عن الحسن قال قال اقوام على عهد نبينا: والله يا محمد، انا لنحب ربنا فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله الاية. وفي رواية نزل لما قالوا: ما نعبد الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه (قل) لهم يا محمد (ان كنتم تحبون الله) محبة خالصة (فاتبعوني) في جميع اعمالي. وهي تشمل الفرض والسنة (يحببكم الله) فقد ورد من حديث قدسي: «وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وان سألني لأعطينه، وان استعاذني لاعيذنه، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته» رواه البخاري عن ابي هريرة رض. (ويغفر لكم ذنوبكم) يوم القيامة ورحمة منه وكرما. — فانكم اذا احببتموه احبكم واذا احبكم لم يعاقبكم بذنب. كما في قوله صلى الله عليه وسلم: واذا احب الله عبدا لم يضره الذنب. وفي الصحيحين وغيرهما. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله ثم تعمل برهة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم — ثم تعمل بالرأي فاذا عملت بالرأي فقد ضلوا واضلوا. تاج التفاسير. وفي الجامع الصغير رمز (٤) عن ابي هريرة (رض). وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين» متفق عليه عن انس صح (والله غفور) لمن استغفره (رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد (اطيعوا الله) وامتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه باداء ما خلقكم لاجله (والرسول) فيما جاء به في القرآن عن ربه من التوحيد وعدم الشرك واخلاص العبادة له واداء ما فرضه عليكم واجتناب ما نهاكم عنه (فان تولوا) عن هذا واعرضوا عن اساس الدعوة اي عن اتباع الله ورسوله (فان) عملهم هذا يعد كفرا و(الله لا يحب الكافرين) اي فان الله لا يرضى عن القوم الكافرين ولا يثني عليهم. وهذه دلالة على ان التولي كفر وانه ينفي محبة الله — تدل هاتان الآيتان (١) على ما ألف متابعة الرسول في اعماله وسيلة للحصول على محبة الله (٢) وان محبة الله للعبد تقتضي توجيهه الى الخير في الدنيا وغفران الذنوب في الآخرة (٣) وان الاعراض عن قبول الدعوة الاسلامية دليل على عدم محبته اي العبد لله.

خ من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب

خ التي يبطش

خ مساءته

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَٰهِيمَ وَآلَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤

قال ابن عباس: قالت اليهود نحن من ابناء ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية. — انه بعد ان بين الله للمؤمنين سبيل الظفر بمحبته ونيل رضوانه وان طاعة الرسل توجب حبه اخذ سبحانه وتعالى يذكر مناقبهم ممن يصطفى من عباده من يشاء فقال (ان الله اصطفى آدم) واختار (آدم) فجعله صفوة للعالمين واول السلالة البشرية وعمره سبعمائة وستين سنة فكان هاديا مهديا وكان في ذريته من النبيين من شاء الله (ونوحا) اسمه السكن ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه وهو من نسل ادريس بينه وبينه اثنان لانه ابن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس وعمر نوحا الف وخمسون سنة «فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما» يدعوهم الى توحيد الله فكذبوه فعما حدث على عهده ذلك الطوفان العظيم فانقرض من نسائل البشرية من انقرض ونجا هو واهله من الفلك فكان بذلك اباء ثانيا للجم الغفير من الناس وجاء من ذريته كثير من النبيين والمرسلين ثم تفرقت ذريته وانتشرت وشاعت فيهم الوثنية حتى ظهر فيهم ابرهيم وعمره مائة وسبعون (وآل ابرهيم) وهم اسمعيل واسحق واولادهما ولاجرم ان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل فهو من جملتهم. ومن آل ابرهيم من هم على دينه. وقد دخل في آل ابرهيم بنو اسرائيل وهم اليهود الذين جعل الله فيهم الملك والنبوة الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم. وهؤلاء من ذرية ابرهيم من اسحق. ومن اسمعيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (وآل عمران) هم عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان من نسل سليمان بن داود. وقيل موسى وهرون هما ابنا عمران بن يصهر. وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة. وبين عمران ابي موسى ويعقوب ثلاثة اجداد. وبين عمران ابي مريم ويعقوب ثلاثون جدا. (على العالمين) اي جعلهم من خيرة المعنيين اليه. (ذرية طيبة مباركة، تناسل (بعضها من بعض) فيما بينهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض - اي من ولد بعض في التناصر والتعاضد. وقيل بعضها على دين بعض. فهم اشباه متماثلون في الدعوة الى الله (والله سميع) لكل من يدعوه باخلاص (عليم) بمبلغ ثقة عباده في قدرته بتاليفهم واقوالهم واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القلب والقول والعمل وهو يعطي كلا من المخلصين في الاعتماد والعاملين ما هو اهل له من ثواب وعقاب واجابة وارد.

الذرية: من ذرأ المهموز اي خلق. كما ان البرية من برأ. والذرية الصغار من الاولاد. وان كان قد يقع على الصغار والكبار معا. والجمع الذراري. ومنهم من يقول من ذر. فراجع.

إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت
السميع العليم ٣٥ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى
وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٣٦

ولما اصطفى آل عمران ذرية طيبة بعضها من بعض ذكر قصة مريم فقال:- اذكر يا محمد!
(إذ قالت امرأة عمران) حنة بنت فاقوذا لما استنت واشتاقت للولد فدعت الله. وقد
حرمت الولد حتى ايست وكبرت فبينما هي في ظل سجرة اذا بصرت بطائر يطعم فرخا
فاشتاقت للولد فقالت: «اللهم ارزقني ولدا تصدقت به على بيت المقدس ليكون
خادما له». فحملت بمريم واحست بالحمل وعنت: (رب اني نذرت لك) اي اجعل لك (ما في بطني محررا)
عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس. (فتقبل مني انك انت السميع العليم).
فقال لها زوجها عمران: ويحك ما صنعت. ارأيت ان كان ما في بطنك انثى فلا تصلح لذلك.
لان مثل هذا النذر يلزم في شريعتهم فكان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة يخدمها ويقيم
فيها حتى يبلغ الحلم فوقعا معا في غم شديد. فحملت حنة وحنة حامل بمريم. ولم يكن احد
من انبياء بني اسرائيل وعلمائهم الا ومن اولادهم من يصير محررا لخدمة بيت المقدس ولم يكن
يحرر الا الغلمان. ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والأذى. وكانت
حنة امرأة عمران اخت اشاع بنت فاقوذا وهي امرأة زكريا وهي ام يحيى وكانوا اهل بيت صالحين
(فلما وضعتها) ولدتها جارية وكانت ترجو ان يكون غلاما اذ لم يكن ان يحرر الا الغلمان لم تجزع
ولم يغيرذ لك شيأ من ثقتها بالله بل (قالت) معتذرة (رب اني وضعتها انثى) ولا اعتراض لي في
حكمك (والله اعلم بما وضعت) جملة معترضة من كلامه تعالى. والمعنى والله عالم بالذي ولدته
وان كان انثى احسن وافضل من الذكر وهي غافلة عن ذلك. (وليس الذكر) الذي
ارجوه (كالانثى) التي وضعتها. ثم قالت حنة: (واني سميتها مريم) ومعنى مريم بلغتهم-
العابدة - وهي لغة عبرانية (واني اعيذها) واحصنها (بك وذريتها من الشيطان
الرجيم) فلا تجعل للشيطان له سبيلا عليهم. وفي الحديث «ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها» متفق عليه عن ابي هريرة
يستنتج من الايتين -١- جواز النذر بتنشئة الصغير على عبادة الله كأن يعلمه القرآن مثلا.
-٢- وجوب الوفاء بالنذر ان قربة لله وحده. اما النذر لاحد من البشر فلا. لان النذر عبادة محضة.
-٣- لام الحق في تسمية ولد هاني حالة فقد الاب - ٤ - جواز النذر بالمجهول.

فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧

(فتقبلها) الضمير لمريم (ربها) من امهاحنة اعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم ورضى ان تكون محررة وخدمة بيته (بقبول حسن) ولعل اقامتها مقام الذكر فى السدانة ولم يقبل متذورة قبل مريم (وانبتها نباتا حسنا) كناية عن تربيتها - اى رباها ونماها فى خير ورزقه وعنايته وتوفيقه تربية حسنة شاملة للروح والجسد وكانت تربو فى الشهر مثل ما يربو الاولاد فى العام (وكفلها زكريا) فاعل كفل بالتشديد هو الله تعالى. والهاء لمريم مفعوله الثانى وزكريا مفعوله الاول. وجعل الله زكريا كافلا لها وضامنا لمصالحها. وتلخيص هذا المقام: ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد عند الاحبار من نسل هرون وهم القائمون بامر بيت المقدس. وقالت دونكم النذيرة. فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم. فقال زكريا: انا احق بها لان خالتها عندى فتنازعوا وكانوا ٢٩ رجلا ثم اصطلحوا على ان يلقوا اقلامهم فى نهر الاردن على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو اولى من غيره فارتفع قلم زكريا ونزل قلمهم فكفلها زكريا رأس الاحبار ونبيهم. فاخذ ينظر فى شؤونها ويربيها احسن تربية فوجد هناك عجبا عجابا مما بلغت النظرله (كلما دخل عليها) على مريم (وجد عندها رزقا) رزقا الله اعما كان يأتيها به. فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء. (قال) زكريا عند مشاهدة الرزق (يا مريم انى لك) من اين لك (هذا) الرزق ولم تأت به اليك (قالت) مريم وهى صغيرة لم تبلغ اوان النطق (هو من عند الله) لانى لم أر أحدا جاء به (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يحتمل انه من كلامها وانه من كلام الله تعالى، فانه يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته - وغير داخل تحت نطاق الحصر ولا مرتبط بسبب، بل من حيث لا يحتسب. وبحض قدرة الله التى يعجز عنها الناس بالحظ والنصيب. والرزق ما هو الا من محض كرم الله سبحانه. وكل امرئ فى الحياة مهما عمل فانه لا يأخذ الا ما قسمه الله له قليلا او كثيرا سواء بالسعى المطلوب او بسبب من الاسباب المعتادة او من غير ذلك. ولو ان بالاعمال يكتسب الغنى - لصاعد العمال للثروات، او كانت الارزاق تدرك بالحجا - ما عاش فوق الارض من حشرات.

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ٣٨ فنادته
الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين ٣٩ قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي
عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ٤٠ قال رب اجعل لي اية قال اياتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ٤١.

كان نبي الله زكريا رجلا يعلم انه لا بد في رزق عباده انظمة كونية لا بد منها وان السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة ولذلك فانه كان يأخذ بالاسباب ويبتاع من صناعة
التجارة وكان يائسا من الذرية لانه رجل عجوز وامرأته عاقر وكان بيته انقرضوا
ولكنه لما راى وجود رزق عند مريم وسألها عنه فقالت انه من عند الله. اثارت
في نفسه (هنالك) في ذلك المكان او في تلك اللحظة (دعا زكريا ربه) ملا دخل المحراب
للصلاة جوف الليل (قال رب هب لي من لدنك) من عندك (ذرية طيبة) ولدا صالحا
(انك سميع الدعاء. فنادته الملائكة) اي جبريل (وهو) زكريا (يصلي في المحراب)
في اثناء دعائه (ان) بان (الله يبشرك) يا زكريا. انه قد انعم عليك (بيحيى) اي بولد
اسمه يحيى (مصدقا بكلمة من الله) اي بعيسى انه روح الله. قال ابن عباس:
ان يحيى كان اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من آمن وصدق بانه كلمة
الله وروحه، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام. (وسيدا) متبوعا يسود
قومه (وحصورا) محصورا اي ممنوعا من الفساد (ونبيا من الصالحين) لم يعمل
خطيئة ولم يهم بها (قال) زكريا (رب اني) كيف (يكون لي غلام) ولد (وقد
بلغني الكبر) اي بلغت نهاية السن - مائة وعشرين سنة (وامراتي عاقر)
بلغت ثمانيا وتسعين سنة (قال) الله: الامر (كذلك. الله يفعل ما يشاء)
(قال) زكريا (رب اجعل لي اية) علامة تدلني على حمل امرأتي (قال) الله
(اياتك ان لا تكلم الناس) تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاثة ايام)
اي بلياليها متوالية. (الا رمزا) اشارة. فذلك دليل على حصول حمل امرأته.
(واذكر ربك كثيرا وسبح) بحمده (بالعشي) اواخر النهار (والابكار) اوائله.

QP Card 101 v4

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤

لما بين سبحانه قصة حنة ام مريم وبين ما كان من زكريا عند سماعه من مريم قولها: ان الله يرزق من يشاء بغير حساب، عاد الى اتمام قصة مريم. فقال: (وَ) اذكر (اذ قالت الملائكة) اى جبريل (يا مريم ان الله اصطفاك) اختارك حيث تقبلك من امك (وطهرك) مما يعتريه كالحيض والنفاس ومن غواية الشيطان (واصطفاك) اصطفاءً آخر (على نساء العالمين) اى اهل زمانك بل افضل النساء على الاطلاق. وهو المعتمد وفى مستدرك الحاكم عن ابى سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم ابنة عمران» صحيح. (يا مريم اقنتى) اطيعى (لربك) دوا بانواع الطاعات فلا يداخلك الغرور بهذا الاصطفاء والتخصص بهذا الشرف (واسجدى واركعى مع الراكعين) اى صلى مع المصلين. فلا تحسبى ان ما نلتيه من درجة ومكانة يجعلك فى غنى عند الله عن الصلاة شأنك فى هذا شأن عباد الله الصالحين.

(ذلك) ما قصصناه عليك من امر زكريا ومريم (من انباء الغيب) اخبار ما غاب عنك وعن قومك (نوحيه اليك) يا محمد ونعلمك به على قصص من سبقك لتأخذ لك منه الموعظة والدليل على تعليم الله لك (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم) سهامهم فى الماء يقترعون بها ليتبينوا (ايهم يكفل مريم) لما اودع الله الرغبة فى قلوبهم على كفالة مريم حتى قرعهم زكريا فكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) فى كفالتها ولم يتفقوا على كفالتها الا بعد القرعة. فتعرف ذلك بعد ان نوحيه اليك فتخبر به.

استنتج الشافعى من كفالة زكريا لمريم بواسطة القرعة جوازها ووجوب تنفيذ مقتضاها. وقد ايد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اذ كان يقترع بين نسائه للسفر معه. واقرع بين ستة عبيد اعتقها رجل لا مال له سواهم، فاعتق اثنين منهم بحسب القرعة. وقال مالك انه لا يجب تنفيذها شرعا. وقال ابو حنيفة انما تنفذ فى كل ما لم يحصل التراضى فيه من غير قرعة، ككفالة الطفل، واختيار بعض الزوجات بخلاف ما لا يجوز فيه التراضى.

إذ قالت الملئكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين ٤٥ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ٤٦
قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا
فإنما يقول له كن فيكون ٤٧

بعد ان اخبر الله نبيه بامر اصطفاء مريم على نساء العالمين شرع في قصة جلها بعيسى عليه
السلام. فقال (اذ قالت الملئكة) اى جبريل. وهذه الاية بدل من قوله «اذ قالت الملئكة ان الله
اصطفاك» (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) اى بالولد الصالح من غير واسطة بمجرد كلمة التكوين
(اسمه المسيح) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة - واصله بالعبرانية مشيحا لقب لكل
تولى الملك ومعناه المبارك (عيسى) اسمه معرب يشوع بالعبرانية (ابن مريم) خاطبها بنسبته
اليها تنبيها على انها تلد بلا اب (وجيها) حال من كلمة بمعنى ذى جاه اى السيد فى قومه او وجيه
الله اى صيره وجيها. وباب ظرف يظرف - وجه يوجه وجاهة - صار وجيها (فى الدنيا) بالنبوة
(والاخرة) بالشفاعة والدرجات العلا (ومن) عباد الله (المقربين) اليه المحبوبين لديه عن
وجل. (ويكلم الناس) كلام التمام (فى المهد) طفلا قبل اوان الكلام. المهد فراش يعد لنوم
الطفل (وكهلا) رجلا سويا كاملا. وهو من كان عمره بين الثلاثين والخمسين. (ومن الصالحين)
لاداء الرسالة والقيام بواجب الدعوة (قالت) مريم (رب انى) كيف (يكون لى) يتيسر لى (ولد)
ولادة ولد (ولم يمسسنى بشر) اى والحال انى لم اتزوج - وقد جرت العادة ان الولادة
لا تكون الا عن اب (قال) الله لها امر الامر (كذلك) كما علمت من قبل، ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب - يقدر خلق ولد منك ولا اب (الله يخلق ما يشاء) على حسب ما اقتضته
حكمته بدون تقييد بقانون الاسباب المعتاد. فانه (اذا قضى امرا) اراد تكوينه امر
صغيرا كان او كبيرا وتعلقت ارادته به (فانما يقول له كن فيكون) فيتكون ذلك الامر
اذ انه فى تصرفاته غير مقيد بالاسباب لانه سبحانه هو مسبب الاسباب وهو المسبب.
وهو الخالق للسبب والمسبب. قرأ ابن عامر بنصب فيكون. بانه منصوب بان مضمرة
بعد الفاء السببية الواقعة بعد الامر وهو - كن فيكون. فى ستة مواضع عند ابن
عامر - هنا - وفى البقرة - ١١٧ - وفى النحل - وفى مريم - وفى يس. وفى غافر. والباقون
بالرفع على الاستئناف.

ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ٤٨ ورسولا الى بني اسرائيل انى قد
جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا
باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ٤٩ ومصدقا لما بين يدي من
التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ٥٠
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ٥١

(ويعلمه) الله. وفي قراءة ونعلمه (الكتاب) قراءته وخطه (والحكمة والتوراة) التي انزلت على
موسى (والانجيل الذي نزل عليه. ويقول سبحانه وتعالى (ورسولا) اي ويجعله رسولا (الى بني
اسرائيل) الذين كان اولهم يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى. فلما بعثه الله الى بني اسرائيل قال
لهم (اني قد جئتكم باية من ربكم) تدلكم على صدقي. وذلك (اني اخلق لكم من الطين)
اي اقدر لكم واصور شيئا (كهيئة الطير) مثل صورة الطير (فانفخ فيه) ينفسخ (فيكون
طيرا) فيصير حيا طيارا (باذن الله) بارادته (وابرئ) واشفي (الاكمه) الذي ولد اعمى
من رحم امه فيبصر ما حوله في الحال. وابرئ بدون علاج (والابرص) المصاب بالبرص وهو
مرض يحدث في الجلد بياضا والما. (واحيي الموتى) ارد الروح التي زالت عنهم الحياة
(باذن الله) وارادته. (وانبئكم بما) كنتم (تاكلون) من قبل (وما تدخرون) اليوم من طعام
وشراب للمستقبل من غير ان اعاينه (في بيوتكم) وكان يخبرهم بما اكلوا وبما يأكلون من بعد ذلك
(ان في ذلك لاية) قائمة ومعجزة باهرة (لكم) على اني عبد مخلوق لله (ان كنتم مؤمنين)
بتلك الايات المذكورة على قدرة الله (ومصدقا) اي وجئتكم مصدقا لما بين يدي
(لما بين يدي) من الكتاب الذي جاء به موسى (من التوراة) وما فيها من اساس الدعوة
الى توحيد الله. وجئتكم (ولاحل لكم) اي وجئتكم لاحل (لكم رحمة من الله بكم (بعض الذي حرم
عليكم) فيها. فقد كان حرم على بني اسرائيل من الطيبات " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم " كالشحوم والسمك ولحم الابل والاوز والبط، والعمل في السبت. هذا يدل على ان
شرعه كان ناسخا لبعض احكام من الفروع. (وجئتكم باية من ربكم) تدلكم على اني مرسل اليكم
لايسعكم معها الا الايمان. وهي تكليمي لكم في المهد واخباركم باني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا (فاتقوا الله واطيعون) فيما ادعوكم اليه (ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)
دعت اليه الرسل جميعا من قبلي.

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ
اللَّهِ ۖ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ۖ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا
مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾

بعد ان اخبر الله نبيه بقصة مريم وحملها لعيسى ومعجزاته ورسالته شرع فى بيان حاله ولمن
مع قومه فقال: (فلما احس) شعر وعلم (عيسى عليه السلام) من قومه بنى اسرائيل (الكفر) والعناد
والايذاء. كانه عرف كفرهم بمدرك الحواس بعض الخمس وهى الذوق والشم واللمس والسمع
والبصر. وذلك لما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذ فى اذاه وطلبوا
قتله وتفرقوا به (قال) للحواريين (من انصارى) فى نشر الدعوة (الى الله) فى سبل اعلاء كلمة
الله ونصر دينه (قال الحواريون) جمع حوارى وهو الناصر. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
للزبير بن العوام ان لكل نبى حواريا وان حواريى الزبير، رواه الشيخان، خازن. وكانوا اثنى عشر رجلا
وقيل كانوا تسعة وعشرين. والقرآن لم يعين عددهم. ومن هنا قيل: الحوارى بانصار الانبياء القائمين
(نحن انصار الله) اى انصار دينه (امنا بالله) وصدقناه (واشهد) يا روح الله (بانا مسلمون) مخلصون
منقادون للحق. — وفى هذا دليل على ان الاسلام دين الله فى لسان كل نبى وان اختلفوا فى بعض
صوره واحكامه واعماله. ثم توجهوا الى الله قائلين (ربنا آمنا بما انزلت) من التوراة والانجيل (واتبعنا
الرسول) عيسى ابن مريم بالعمل وفق تعاليمه (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالتوحيد ولرسلك
باداء الرسالة والهدى الى الصراط المستقيم.

وفى هذا من العبرة والتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ما فيه وان اكبر ما فيه الاعلام بان
بانى الآيات الكونية ليست ملزمة بالايمان ولا مفضية اليه حتما وانما يكون باستعداد المدعو
اليه وحسن بيان الداعى ولذلك كان عيسى عليه السلام لما احس من قومه الكفر توجه
الى البحث عن اهل الاستعداد الذين ينصرونه فى دعوته وقال للحواريين من انصارى واعوانى
ذا العبا شارعا فى نصرة دينه.

والحواريون انصار المسيح. والنص لا يستلزم القتال فالعمل بالدين والدعوة اليه نصر له.
تدل الاية على انه لابد للدعوة من انصار. ولابد للانصار من: صحة العقيدة وتمام الطاعة
والاخلاص فى العمل. — الحكم يستتبع من ذكر الاتباع بعد الايمان انه لا يكفى فى الايمان
مجرد التلفظ بكلمة التوحيد بل لابد ان يكون عالما بمعناها عاملا بمقتضاها فتدبر
دليل اليقين.

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾

(ومكروا) اى الذين احس منهم الكفر اذ هاولوا قتله وابطلوا دعوته الى التوحيد
(ومكر الله) وابطل الله مكرهم واحبط تدبيرهم لامر قتله فانجاه منهم والقى شبهه على من قصدا
اغتياله حتى قتل = وذلك ان عيسى لما تحقق منهم انهم يقتلونه واجتمعوا على قتله بعث الله اليه جبريل
فادخله خوخة فى سقفها فرجة فرفعه الله من تلك الفرجة وامر ملك اليهود رجلا منهم يقال له ططيانوس
ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخلها لم ير عيسى والقى الله شبه عيسى عليه. فلما خرج ظنوا
انه عيسى فقتلوه وقالوا له انت عيسى فقال انا صاحبكم فلم يلتفتوا الى قوله. فلما قتلوه قالوا:
وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان
هذا صاحبنا فاين عيسى. فوقع بينهم قتال. اهـ. خازن = جمل. (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا.
لاقامة سننه واعلاء كلمته (اذ قال الله) ظرف لمكر الله (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك
ومعناه انى قابضك وعاصمك من ان تقتلك الكفار (ورافعك الى) الى سمائى ومع ملائكتى
بيان لهذا التوفى. قال العلماء: على الطريقة المشهورة ههنا: انه رفع حيا بجسمه وروحه
وانه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى. والله اعلم
فى حياته الثانية كلام طويل معروف. (ومطهرك من الذين كفروا) اى سوء جوارهم وخبث
صحبتهم (وجاعل الذين اتبعوك) صدقوا بك من امتك ومن امة محمد (فوق الذين كفروا)
بك ولم يهتدوا بهديك (الى يوم القيامة) فان اليهود من ذلك الزمان الى وقتنا هذا لم
تكن لهم غلبة بملك بل هم فى ذلة والصغار (ثم الى مرجعكم) يوم القيامة (فاحكم بينكم فيما كنتم
فيه تختلفون) فى الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بتسليط
الامم عليهم (والآخرة) بالخزى فى النار (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من العذاب (واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات) الخالصة لوجه الله (فيوفيهم) قرأ يحيى بالنون.
(اجورهم) عن كل حركة او سكون حتى ما يجدون فيه لذتهم. (والله لا يحب الظالمين)

ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ
خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَاجَّكَ
فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا
مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ۝

(ذلك) الذى تقدم من نبإ عيسى (نتلوه) نقصه (عليك) يا محمد (من الآيات) الدالة على رسالتك
(والذكر الحكيم) وهو القرآن المعجز الذى نتلوه - وفى الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"القرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم" رواه البيهقى عن رجل من، عن ابن عباس
قال: ان رهطا من نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب:
فقالوا: ما شأن صاحبنا. قال من هو. قالوا: عيسى تزعم انه عبد الله. فقال: أجل. فقالوا: فهل
رأيت مثل عيسى او أنبئت به. ثم خرجوا من عنده. فجاء جبريل فقال: قل لهم اذا اتوك (ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم) الى قوله من الممترين - اى ان شبه عيسى فى خلقه وتكوينه (عند الله)
من حيث صلاح قدرته كشأن آدم، ثم فسره بقوله (خلقه من تراب) على غير السنن المعروفة فى ايجاد
الحيوانات، - فى الحديث - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان الله تعالى خلق آدم من قبضة
قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك" رواه احمد وابو داود والترمذى وغيرهم عن ابى موسى صح
(ثم قال) الحق (له) كلمة التكوين وهى (كن فيكون) بشرا سويا (الحق من ربك) الذى خلق عيسى
وغيره وهو الذى اعلم به (فلا تكن) انت يا محمد (من الممترين) الشاكين فيه (فمن حاجك فيه) فى الحق
الذى جاءك فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم فقل) لهم (تعالوا) هلموا نترك الجدل (ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) بمعنى ان كل واحد منا يدعى اهله رجالا
ونساءً واطفالا ونجتمع فى صعيد واحد (ثم نبتهل) من البهلة بفتح الباء والضم اللعنة.
يقال الله: لعنه الله. ثم استعمل فى كل دعاء اى نضرع الى الله ونسأله (فنجعل
لعنة الله على الكاذبين) بصرعة هلاك - فأبوا ان يلاعنوه وصالحوه. (ان هذا لهو القصص
الحق) لا ريب فيه (وما من اله الا الله) الواحد الاحد (وان الله لهو العزيز الحكيم)
فى تدبير خلقه (فان تولوا) اعرضوا (فان الله عليم بالمفسدين) فيجازيهم

قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ٦٤

ولما قدم وفد نجران المدينة واجتمعوا باليهود اختصموا في إبراهيم فكل يدعي انه على دينه. فقال صلى الله عليه وسلم: كلاهما بريء من إبراهيم بل كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دين الاسلام. فقالت اليهود: ما تريد الا ان تتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا. وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله (قل يا اهل الكتاب) التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى (تعالوا إلى كلمة سواء) عدل (بيننا وبينكم) لا جور فيها على احد منا ولا مضرة وهي تبتنى على اساسين. الاول تقرير وحدانية الالوهية وهي قوله (ان لا نعبد الا الله) وحده وأكده بقوله (ولا نشرك به شيئا) سواه. والثاني تقرير وحدانية الربوبية. وهي قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً) يجعلون لهم الحكم (من دون الله) فالرب هو السيد المربي الذي يطاع فيما يأمر وينهى من حق التشريع والتحليل والتحريم. فلا نجعل لبشر مثلنا حق تحريم ما احل الله او تحليل ما حرم الله. كما روى في حديث عدي بن حاتم قال: اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب. فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة «اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله» فقلت له: يا رسول الله: ما كنا نعبدهم. فقال عليه الصلاة والسلام: ما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون باقوالهم. قلت نعم. قال هو ذاك. كان اليهود موحدين وكثير في زماننا يتبعون رؤساء الدين فيما يقررونه من انفسهم ويجعلونه بمنزلة الاحكام المنزلة من الله تعالى. قال الله تعالى: (فان تولوا) عن هذه الدعوة وابوا الا ان يعبدوا غير الله (فقولوا) لهم (اشهدوا بانا مسلمون) مخلصون بالتوحيد لله وحده والعبادة له ... هذه الآية حجة على انه لا يجوز لاحد ان يأخذ بقول احد في مسائل العبادات والحلال والحرام ما لم يسنده الى قول الله تعالى وسنة رسوله. اما المسائل الدنيوية كالتجارة والسياسة فهي مفوضة بامر الله الى اولى الامر وهم رجال الشورى من اهل الحل والعقد فيما يقررونه يجب على حكام المسلمين ان ينفذوه وعلى الرعية ان يقبلوه مالم يعارض الشريعة. فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الاخذ بآراء بعض الفقهاء في العبادات والحلال والحرام فهو عين ما انكره كتاب الله تعالى وجعله منافيا للاسلام. اه تغير عبده اختصارا. فغير اجهد المتصوف المتعبد ونه عبد اللطيف السكندي

يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ٦٥
ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ٦٦
ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ٦٧ إن أولى الناس
بإبراهيم للذين اتبعوه والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ٦٨

روى ابن اسحق بسنده المتكررة الى ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا. وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا. فانزل الله (يا اهل الكتاب لما تحاجون في) ديانة (ابراهيم) ويزعم كل انه كان على دينه (وما انزلت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الا من بعده) حيث كان نزول التوراة على موسى بعد ابراهيم بمدة خمسمائة وخمس وسبعين سنة. وبين موسى وعيسى الف وتسعمائة وعشرين فتكون المدة بين ابراهيم وعيسى الفين واربعمائة وخمس وتسعين سنة (افلا تعقلون) لما تقولون. اولا تعلمون ان المتقدم على الشيء لا يمكن ان يكون تابعا له.

(ها أنتم) القراءة فيها على اربع مراتب: بالمد والهمزة لابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي — بالمد من غير همزة لابي عمرو وقالون — بالهمزة من غير المد بعد الهاء على وزن فعلتم لقنبل — بغير همزة ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة للازرق — والخامس هنتم هؤلاء من زيادة الشاطبي رحمه الله بناء على احتمال ان الهاء مبدلة من همزة، لابن عامر عاصم حمزة والكسائي. قال: (ها انتم) معشر اليهود والنصارى (حاججتم) واختلفتم (فيما لكم به علم) من خبر عيسى وهو قريب عهد بكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) وهو من امر ابراهيم (والله يعلم وانتم لا تعلمون) فاتبعوا فيه ما يوحيه الله الى عبده محمد. وهو (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله موحدا لله (وما كان من المشركين) الذين يدعون مع الله الها آخر ويتلمسون منهم البركات (ان اولى الناس) واحقهم واجدرهم (بابراهيم) بولايته (للذين اتبعوه) من امته (وهذا النبي والذين آمنوا) معه واتبعوه (والله ولي المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم بايمانهم.

وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٦٩ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ٧٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٧١

ونزلت لما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم (ودت) احبت وتمنت (طائفة من اهل الكتاب) من حولكم (لو) بمعنى ان (يضلونكم) ويصرفونكم عن دينكم ان استطاعوا كما يحصل في كل وقت من جماعة المبشرين (وما يضلون) في الواقع (الا انفسهم) باشتغال اوقاتهم باضلال المؤمنين والمؤمنون لم يلتفتوا اليهم صاروا خائبين خاسرين (وما يشعرون) انهم قد اضلوا انفسهم. ثم قال سبحانه ايحاضا للنفع: (يا اهل الكتاب) المدعين الايمان بموسى وعيسى عليهما السلام والمدعين التصديق بالكتب السماوية (لم تكفرون بآيات الله) المنزلة على رسوله محمد وتأبون الاصغاء اليها وتدبر معانيها (وانتم تشهدون) وتعلمون انها حق. (يا اهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق) الذي جاء به الانبياء ونزلت به الكتب وهو عبادة الله وحده واخلاص العبادة له وعمل البر والخير المطابق لما جاءت به جميع الرسل (بالباطل) المموه المزخرف المختلق الذي ادخله عليه احباركم ورهبانكم من التأويلات والزيادات والآراء التي تعتبرونها من اساس وتوجبون على انفسكم اتباعها وتحسبون انه من عند الله. كما قال تعالى: «ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله» فلبس الحق بالباطل عام شامل لكل ما ذكر (وتكتمون الحق) الثابت الذي هو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا عام ايضا شامل لكل من يكتمون بعض الاحكام اتباعا للهوى كيهود الكتاب قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وياكلون بذلك السحت (وانتم تعلمون) حقيقته في نفوسكم ولا تظهرونه حسدا وبغيا. والآية حجة على الحشوية العاديين من هذه الامة الذين يخلطون الحق المنزل بآراء الناس ويجعلون كل ذلك دينا سماويا وشرعا الهيا.

وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اٰمِنُوْا بِالَّذِيْٓ اُنْزِلَ عَلَى الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَجْهَ
النَّهَارِ وَاكْفُرُوْٓا اٰخِرَهٗ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ۝٧٢ وَلَا تُؤْمِنُوْٓا اِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ ۭ قُلْ اِنَّ الْهُدٰى
هُدَى اللّٰهِ ۙ اَنْ يُّؤْتٰٓى اَحَدٌ مِّثْلَ مَآ اُوْتِيْتُمْ اَوْ يُحَاۗجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۭ قُلْ اِنَّ الْفَضْلَ
بِيَدِ اللّٰهِ ۚ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاۗءُ ۭ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ۝٧٣ يَّخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَاۗءُ ۭ وَاللّٰهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ۝٧٤

(وقالت طائفة من اهل الكتاب) اى اليهود وعلى رأسهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
لاصحابهما تظاهروا بالايمان بالقرآن الذى انزل على محمد بخصوص تحويل القبلة (آمنوا
بالذى انزل على الذين امنوا) بمحمد اى اظهروا لهم الايمان بالقرآن فى شأن القبلة وصلوا الى
الكعبة (وجه النهار) فصلوا معهم صلاة الفجر (واكفروا آخره) وارجعوا الى قبلتكم وصلوا
الى الصخرة (آخره) آخر النهار (لعلهم يرجعون) يعنى اذا رأوا هذه الشبهة لعلهم يشكون فى
دينهم فيرجعون الى قبلتنا. وقالوا ايضا (ولا تؤمنوا) بقلوبكم حقا (الا لمن تبع دينكم)
لان الواجب عليكم التمسك بدينكم الذى تلقيتموه عن آبائكم (قل) لهم يا محمد (ان الهدى)
الذى به النجاة (هدى الله) ان الدين هو الاسلام وان القبلة هى الكعبة فغير الاسلام
هو ضلال وظلم (ان يؤتى) بان يعطى (احد) من عند الله (مثل ما اوتيتم) من النبوة
والحكمة والكتاب والفضائل - وجملة قل ان الهدى هدى الله - اعتراض بين العامل
ومفعوله - ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى - والمعنى: ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم اى لاهل دينكم. وقرأ ابن كثير: أأن يؤتى بمدتين والثانية
مسهلة تفيد التقريع. (او) بمعنى حتى (يحاجوكم) الضمير راجع الى احد بمعنى الجمع بقيد التعليل
والمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم بالحجة.
(عند ربكم) يوم القيامة. (قل ان الفضل بيد الله) يريد الهداية والتوفيق (يؤتيه من يشاء)
فمن يهديكم انه لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم (والله واسع) عطاؤه لعباده (عليم) بما يستحق ذلك. (يختص
برحمته) الواسعة (من يشاء) من الافراد والجماعات لا يتقيد بنسب او شرف (والله ذو الفضل العظيم)
الذى لا يحد فضله ولا يحصر. فى هذه الآيات اخبر الله نبيه من انواع تلبيسات اليهود
وخياناتهم فى الدين.

ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون ٧٥ بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ٧٦
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ٧٧

شروع في بيان خيانتهم في الاموال بعد خيانتهم في الدين قال: (ومن اهل الكتاب)
والمراد بهم بنو اسرائيل وهم اليهود الذين نزلت فيهم هذه الاية (من ان تأمنه بقنطار) مال
كثير - القنطار مائة رطل (يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية
ذهبا فاداها له واوفى بالامانة. (ومنهم من ان تأمنه بدينار) الدينار معرب وهو ضرب من
النقود الذهبية في قديم الزمان. وفي المصباح: الدينار هو المثقال. (لا يؤده اليك) كفنحاص
ابن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده - ومنهم كعب بن الاشرف واصحابه - وقيل المأمونون على
الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة. والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة (الا
ما دمت) مدة دوامك (عليه قائما) تطالبه لا تفارقه في المطالبة بالتقاضي والترافع واقامة البينة
(ذلك) الترك لاداء الامانة (بانهم قالوا) بسبب اعتقادهم، وقولهم انه (ليس علينا في
الاميين) في استحلال اموال العرب ومن لم يكونوا على ديننا وليسوا من اهل الكتاب (سبيل)
حرج او مؤاخذة لا عقاب ولا عتاب (ويقولون) بهذا (على الله الكذب) لنسبتهم ذلك الى
الله لان عدالة الديانات جميعها تلزم الناس بالمحافظة على الامانة (وهم يعلمون) انهم كاذبون
وان الله لم يقل ذلك (بلى) عليهم في الاميين سبيل وهم مطالبون بالوفاء في اماناتهم واموالهم.
(من اوفى) وفى (بعهده) الذي اخذه بعهد الله اليه على نفسه للناس ويدخل ضمن
ذلك اداء الامانة (واتقى) الله باتباع دينه وعدم استحلال مال الغير بدون حق (فان
الله يحب المتقين) الخائفين منه. (ان الذين يشترون) ويستبدلون (بعهد الله) بما
عاهدوه عليه من الايمان بالرسل والوفاء للناس بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به في
تعاملهم (ثمنا قليلا) متاع الدنيا وحطامها من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك (اولئك لا خلاق
لهم في الآخرة) لا حظ لهم في نعيمها (ولا يكلمهم الله) بما يسرهم ويفرحهم (ولا ينظر اليهم) نظر
رحمة (يوم القيامة) يوم العرض (ولهم عذاب اليم) فوق ذلك على ما فعلوه.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨ مَا كَانَ لِبَشَرٍ
أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٨٠

فى هذه الاية بين الله لنبيه الى ما يتخذ طائفة اخرى من اهل الكتاب من الاساليب والتضليل
ليدخلوا على المسلمين احكاما. قال: (وان منهم) من اهل الكتاب (لفريقا) يتسمون بسمات رجال الدين
من الرهبان والاحبار وكل من كان على شاكلتهم منهم ومن غيرهم (يلوون) يفتلون ويعطفون (السنتهم)
بهم لسان على لغة من يذكره. وعلى لغة من يؤنثه يقول هذه لسان ويجمع على ألسن. (بالكتاب)
بقراءته عن المنزل بعبارات تشبه الايات بشكل يوهم السامع (لتحسبوه من الكتاب) المنزل (وما هو
من الكتاب) الذى انزله الله (ويقولون هو) ما تلوه وحرفوه بالقراءة او الكتابة (من عند الله) ينسبون
الى الله (وما هو من عند الله) كما يزعمون (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون ويتعمدون
الكذب. وهكذا يفعل اشباههم فى زماننا هذا يأخذون من الاسرائيليات من القصص التى تخالف
ما فى القرآن - وقد يحرفونه بالتأويل لتأييد تقاليدهم وبدعهم. غير طالبين من القرآن بل من علمائهم.
بعد ان بين الله حال فرق اليهود اراد ان يبين حال النصارى وما كان من احبارهم وقساوسة
النصارى فى المسيح وانه قد دعا الناس الى اتخاذه وامه الهين من دون الله. فقال: (ما كان لبشر
عاقل (ان يؤتيه الله) اى لا ينبغى اعطاء الله لبشر (الكتاب) القرآن (والحكم) التشريع (والنبوة)
والاخبار عما سيكون (ثم يقول) بعد ان شرفه الله بتلك الدرجات (للناس) الذين يريد دعوتهم (كونوا
عبادا لى) العباد جمع عبد بمعنى عابد. والعبيد جمع عبد بمعنى مملوك، اى اجعلونى من دون الله.
(ولكن) يقول للناس (كونوا) بافوى (ربانيين) جمع ربانى منسوب الى الرب والالف والنون زائدتان
اى متصلين بالرب مباشرة من غير واسطة او وسيلة (بما كنتم تعلمون الكتاب) على الناس
وتعلمونه وتعملون به (وبما كنتم تدرسونه) اى تدرسونه على الناس (ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين ارباباً) من دون الله، مثل ما اتخذت الصابئون الملائكة واليهود
والنصارى عزيرا والمسيح (ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) مؤمنون برسالته.

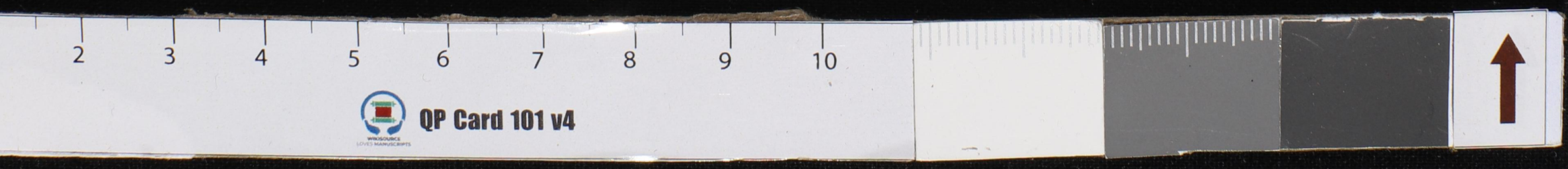

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨١ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٨٢ أَفَغَيْرَ دِينِ
اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٨٣

(و) اذكر يا محمد (اذ اخذ الله ميثاق النبيين) اى العهد عليهم قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ونسو (لما آتيتكم) اللام موطئة للقسم. ما مبتدأ اسم موصول بمعنى الذى اتيتكموه او شرطية بمعنى مهما اتيتكم (من كتاب) مبين لكم ولامكم الاحكام الظاهرة (وحكمة) علم الحق من الاخلاق المرضية الموصلة الى التوحيد (ثم جاءكم) به (رسول) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة التى هى اساس الدعوة الى توحيد الله (لتؤمنن به) ايها النبيون (ولتنصرنه) بتأييد دعوته فى عموم ما جاء به محمد. والمراد من ذكر ما فى هذه الاية بيان مرتبته صلى الله عليه وسلم مع النبيين وهو الرئيس المتبوع لهم اذا فرض انه وجد فى عصرهم واختص له صلى الله عليه وسلم هذا الاختصاص لانه تعالى قضى فى سابق علمه انه خاتم النبيين وسيد المرسلين. وفى الحديث: «والله لو كان موسى حيا بين اظهركم ما حل له الا ان يتبعنى» رواه ابو يعلى من حديث جابر. (قال) الله للنبيين (أأقررتم) بالايمان به ونصره (واخذتم) قبلتم (على ذلكم اصرى) عهدى (قالوا اقررنا. قال فاشهدوا) انتم بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) على ذلك. (فمن تولى) اعرض وادبر (بعد ذلك) ذلك الميثاق والاقرار والاشهاد (فاولئك هم الفاسقون) المتعدون المتمردون لحدود الله. (افغير دين الله يبغون) ويقصدون اى ايبغون الناس بعد هذا البيان بدين غير دين الله الذى هو الاسلام. (وله اسلم) والحال انه لهذا الاله انقاد وخضع وتذلل محموم (من فى السموات والارض) من كل عاقل (طوعا) متى تدبر حقائق الامور بالنظر والانصاف والفكر فى ايات الله. (وكرها) فهو حسير بقدرته قاهر لمن عنده. او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق لفرعون «فلما رأوا باسنا قالوا امنا بالله وحده». (واليه يرجعون) فيجزيهم بما كانوا يعملون.

قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن
له مسلمون ٨٤ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ٨٥
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم الظالمين ٨٦

بعد ان اخبر الله سبحانه بامر العهد الذي اخذه على النبيين وامتهم قبل ظهور محمد امر
سبحانه هنا ان يعلن للملأ بالاقرار به عن نفسه ومن معه بالايمان فقال: (قل) يا محمد
هاانا ومن اتبعني (آمنا بالله) ربا واحدا لا يستحق العبادة احد سواه (وما انزل علينا)
وهو القرآن (وما انزل على ابرهيم) جد الانبياء والمرسلين - وهو الصحف (واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط) اى وامنا وصدقنا بان الله انزل عليهم وحيا لهداية اقوامهم.
وما اوتي موسى) وهو التوراة (وعيسى) وهو الانجيل (والنبيون) اى وما اوتي النبيون
في شرائعهم كداود وسليمن وايوب وغيرهم منهم من قصه الله علينا ومنهم من لم يقصصه.
فان ثبت ان نبيا ظهر في الهند او الاندنسيا او الصين قبل ختم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم
نؤمن به في شرائعهم الذين هم عليهم (من) عند (ربهم لا نفرق بين احد منهم) في الدين
فلا نقول ببعضهم على حق وبعضهم على باطل - وفي الايمان فلا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض
بل نؤمن ونصدق انهم على الحق لا خلاف بينهم في الاصول والمقاصد. والاصول هي
الايمان بالله واسلام القلوب له والايمان بالاخرة والعمل الصالح مع الاخلاص.

(ونحن له) وحده الذي امنا به (مسلمون) منقادون بالرضى مخلصون له بالعبادة والطاعة.
(ومن يبتغ غير) دين (الاسلام) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله المنزل على الانبياء (دينا) يتقبله
به (فلن يقبل منه) اذ الدين القويم المستجمع لجميع الاديان هو الاسلام لابتنائه على التوحيد
الذاتي المسقط للاضافات وعموم الخصوصيات المقتضية للكثرة مطلقا. فينفي بذلك
قبول كل دين يغاير دين الاسلام وشريعته لقبول كل ما يغاير. ولعمل الدين ايضا
الاعمال. ولان الدين اذا لم يكن هو الاسلام الخضوع والانقياد فما هو الا رسوم وتقاليد يتخذها
القوم رابطة للجنسية وآلة للعصبية ووسيلة للمنافع الدنيوية والسياسية (وهو
في الاخرة من الخاسرين) بخسر نفسه اذ لم يزكها بالاسلام والاخلاص لله جل علاه.

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن
تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم
مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

نزلت فى شان الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ١٢ خازن . روى النسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس
قال: كان رجل من الانصار اسلم ثم ارتد ثم ندم فارسل الى قومه، ارسلوا الى رسول الله هل
لى من توبة فنزلت كيف يهدى الله قوما كفروا بعد الى قوله فان الله غفور رحيم فارسل اليه
قومه فاسلم. (كيف) للتعجب والاستبعاد اى لا (يهدى الله قوما كفروا) ارتدوا (بعد ايمانهم)
بالله (وشهدوا) فى سرهم (ان الرسول حق) من عند الله (وجاءهم البينات) الدالة على صدق نبوته
التى تفرق الحق والباطل (والله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالارتداد بعد ان كانوا
فى الايمان (اولئك جزاؤهم) على ما صنعوا من ارتدادهم بعد الايمان (ان عليهم لعنة الله) سخطه
ونقمته والابعاد عن رحمته (والملائكة والناس اجمعين) يلعنونهم (خالدين فيها) فى اللعنة، اى
مطرودين عن الرحمة الى الابد الموجب الى عذاب النار (لا يخفف عنهم العذاب) الذى
هو من لوازم اللعنة فى جهنم. (ولا هم ينظرون) يمهلون لحظة واحدة للاستراحة من
ذلك العذاب (الا الذين تابوا) عن الردة بالايمان الصحيح (من بعد ذلك) الكفر (واصلحوا)
اعمالهم وفق الشريعة واستثنوا الاوامر واجتنبوا النواهى (فان الله غفور رحيم) بالستر على
قبائحهم والعفو عن زلاتهم. ثم ذكر من لا تقبل توبتهم (ان الذين كفروا بعد ايمانهم) وتيقنهم
ان الرسول حق (ثم ازدادوا كفرا) بالاصرار على الردة والتمادى فى المعاصى والصد عن سبيل
الله (لن تقبل) عند الله (توبتهم) لانهم لا يتوبون. (واولئك هم الضالون) فى الحياة الدنيا وفى الاخرة.
(ان الذين كفروا) واصروا على الكفر ولم يتوبوا (وماتوا وهم كفار) اى على كفرهم واصرارهم (فلن
يقبل من احدهم) ما انفقوا فى الحياة الدنيا من اعمال البر ولو كان (ملء الارض ذهبا) لان الكفر
يحبط كل عمل. (ولو افتدى به) من عذاب الله فى الآخرة على فرض انه يملكه لا يؤخذ منهم فدية،
اولئك لهم عذاب اليم) فى نار جهنم (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من العذاب.

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ۚ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ٩٢ كل الطعام
كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ۗ قل فأتوا
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ٩٣ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
فأولئك هم الظالمون ٩٤ قل صدق الله ۗ فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ۖ وما كان من المشركين ٩٥

(لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير. اولن تنالوا البر الذى الرحمة من الله
والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما) بعض ما (تحبون) اى من المال فى الانفاق والعلم فى الهداية
والجاه فى منفعة الناس والبدن فى طاعة الله. (وما تنفقوا من شئ) محبوب او غير محبوب
(فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه. قد وقع من ذلك ما اخرجه الشيخان والترمذى والنسائى عن انس
قال كان ابو طلحة اكثر الانصار نخلا بالمدينة وكان احب اموله اليه بيرحاء. وكانت مستقبلة المسجد وكان
النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها. فلما نزلت "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"
قال ابو طلحة: يا رسول الله ان احب اموالى التى بيرحاء وانها صدقة لله تعالى ارجو برها
وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث اراك الله تعالى. فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم "بخ بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين" فقال
افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة بين اقاربه وبنى عمه. (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) يعقوب
(الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) فاشتكى عرق النسا فاشار عليه الاطباء
بان لا يأكل لحوم الابل ولا يشرب البانها فحرمها على نفسه وتبعه اولاده فى ذلك التحريم. وذلك
قبل انزال التوراة وبعد ابراهيم لان يعقوب ابن اسحق واسحق ابن ابراهيم. (قل) يا محمد لليهود حيث
قالوا ان تحريم لحوم الابل والبانها كان من ملة ابراهيم (فأتوا بالتوراة فاتلوها) فانه يبين
لكم كذبكم فبهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة لعدم صدقهم وكذا قال (ان كنتم صادقين)
فيما تدعون. ثم قال (فمن افترى) واتسع (على الله الكذب) بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة
على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد قيام الحجة (فاولئك هم الظالمون) الذين لا ينصفون
من انفسهم ويكابرون على الحق. (قل صدق الله) وكذبتم (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى ملة
الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم. التى سماكها محمد وهى كونه مائلا على سائر الاديان
الى الاسلام (وما كان من المشركين) بل كان من المخلصين الموحدين. فيه تعريض بشرك
اليهود. وكيف تتبعون غير دين ابراهيم.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٩٧

لما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان اول بيت وضع للناس) اى وضعه الله فى الارض لعباده للتعبد (للذى ببكة) لغة فى مكة. والبيت الذى فى مكة "هو البيت الحرام ثم بعده بيت المقدس. وفى البخارى قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وذكر ان بينهما اربعين سنة. وقيل هو اول بيت بناه آدم ثم انطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم فهدم ثم بناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش (مباركا) فيه البركات الكثيرة. (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) عجيبة. يقول المفسرون: منها انحراف الطير عن هوازاة البيت على مدى الاعصار ومنها ان ضوارى السباع تخالط الصيد ولا تتعرض له ومنها ان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل ومنها (مقام ابراهيم) وهو الحجر الذى قام عليه حين كان يبنى البيت فاثرت فيه قدماه وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت قدماه. وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" رواه ت حب ك) عن ابن عمرو (ه) الجامع الصغير. (ومن دخله) اى الحرم (كان آمنا) اى ومنها امن من دخله) فى الدارى. وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام: رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات وفى الحديث: "من مات فى احد الحرمين بعث آمنا يوم القيامة. رواه البيهقى. وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج. (ولله على الناس) وجوبا (حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص (من استطاع اليه سبيلا) وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة، رواه الحاكم وغيره، وبه اخذ الشافعى. وقال صلى الله عليه وسلم: السبيل الزاد والراحلة" الشافعى الترمذى عن ابن عمر، ان يجد زادا يكفيه ذهابا وايابا ونفقة من تلزمه نفقته وكسوتهم وان يكون دينه مقضيا (ومن كفر) اى جحد بفرض الحج عليه وقدر ولم يحج لغير عذر (فان الله غنى عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم. وفى الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا - تاج التفاسير.

قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون ٩٨ قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء ٩٩ وما الله بغافل عما
تعملون ٩٩ يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين ١٠٠ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى
الى صراط مستقيم ١٠١

(قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله) السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد في الاسلام (والله شهيد) مطلع (على ما تعملون) اى على اعمالكم فيجازيكم عليها. (قل يا اهل الكتاب) التكرار يفيد المبالغة في التقريع (لم تصدون) تمنعون الناس وتوقعون الشقاق بينهم وتصرفون المؤمنين وتحتالون في صدهم (عن سبيل الله) الاسلام (من آمن) بالله ورسوله - وتمنعون من اراد الدخول فيه (تبغونها) تطلبون لها والضمير عائد على سبيل والسبيل يذكر ويؤنث. (عوجا) اى اعوجاجا اى تلبسون على الناس وتوهمونهم انها مائلة عن الحق. (وانتم شهداء) تشهدون انها سبيل الله والصد عنها ضلال (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد والتلبيس والكفر - روى ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين. فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بغاث - يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة وعشرين سنة، وكان الظفر فيهم للاوس على الخزرج ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتنازعوا وقالوا: السلاح - السلاح. واجتمع من القبيلتين خلق عظيم وغضب الفريقان غضبا شديدا، فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم. فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانزل الله (يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا) طائفة (من الذين اوتوا الكتاب) يعني شاسا اليهودي واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر موجب الهلاك. ولما كان المسلمون يتلون القرآن وفيه الارشاد والنصائح فلا يليق بهم التخاذل والانقسام بعد ما سمعوا من الحكم والاحكام وعانق بعضهم بعضا. قال جابر: فما رايت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم. اعقبه الله سبحانه بقوله (وكيف تكفرون) الاستفهام فيه تعجب حمل المخاطب على التعجب من هذه القصة وتوبيخ واضمار (وانتم تتلى عليكم ايات الله) القرآن الذي فيه ما يوجب ذهاب الحسد وبيان الحق من الباطل (وفيكم رسوله) الذي يبين لكم الحق ويدفع عنكم الشبه. فكيف تدخل عليكم هذه الدسيسة والنزغة (ومن يعتصم) ويتمسك بدينه في الحلال والحرام وجميع الاحكام ويلتجئ اليه في جميع الامور (فقد هدى الى صراط مستقيم) واضح وهو الطريق المؤدي الى دار النعيم المقيم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٤

(يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام
بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم» مفسرا لهذه الاية. وعن ابن
مسعود رضى الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى. واصل تقاة وقية فقلبت
واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا. (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى ولا تكونوا على
حال الا اذا ادركتموا عليه تموتون مسلمين. لان الموت على ما عاش كما وارد كما فى الخبر ان المرء يموت على ما
عاش عليه. تاج التفاسير. (واعتصموا) تمسكوا (بحبل الله) بدين الاسلام او بكتابه الذى هو القرآن. لقوله عليه
السلام: القرآن حبل الله المتين» رواه الحاكم وصححه ومعنى الاعتصام هنا الوثوق والاعتماد عليه (جميعا) اى
مجتمعين على الاسلام والقرآن. (ولا تفرقوا) اصله ولا تتفرقوا حذف احد التاءين. اى لا تتفرقوا عن
الحق كما افترق اهل الضلال (واذكروا نعمة الله) التى تفضل عليكم بالهداية والتوفيق والاسلام المؤدى الى
التألف. وكم الله من نعم غيرها. (اذ كنتم اعداء) فى الجاهلية تتقاتلون (فالف بين قلوبكم) بالاسلام (فاصبحتم)
(بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين فى الله (وكنتم على شفا) طرف (حفرة من النار) اذ لو ادرككم الموت على تلك
الحالة لوقعتم فى النار (فانقذكم) فخلصكم بالايمان (منها) من الحفرة او النار. اصل شفا شفو فقلبت الواو
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلالاته (لعلكم تهتدون)
(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) يعم المنافع الدنيوية والاخروية. لقوله صلى الله عليه وسلم: «الخير كثير
ومن يعمل به قليل» رواه الطبرانى عن ابى عمرو. حسن. وقوله: «الخير كثير وقليل فاعله» رواه خطيب عن
ابن عمرو. حسن. واعظمها الدعاية الى الهدى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا الى هدى
كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا. ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم
مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» رواه احمد ومسلم عن ابى هريرة. صحيح. (ويأمرون بالمعروف)
بصورة العطف لقوله صلى الله عليه وسلم: «من امر بمعروف فليكن امره بمعروف» رواه البيهقى عن ابى عمرو. رض.
(وينهون عن المنكر) بحسب المراتب التى ذكره صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان» اخرجه مسلم (واولئك هم المفلحون)

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون ١٠٦ واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ١٠٧ تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ١٠٨ ولله ما في السموات وما في الارض واليه ترجع الامور ١٠٩

(ولا تكونوا) يا معشر المؤمنين (كالذين تفرقوا) عن دينهم. نهى المؤمنين عن الاختلاف في اصول الدين دون
الفروع ما لم يخالف النصوص الثابتة. لقوله عليه السلام: اختلاف امتي رحمة. وقوله: من اجتهد فاصاب
الحديث. جمل. (واختلفوا) فيه وهم اليهود والنصارى. وفي الحديث: افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت امتي على ثلاث وسبعين فرقة. (ك) عن
ابي هريرة. صح. الجامع. - فانهم اختلفوا في الديانة وكفر بعضهم بعضا (من بعد ما جاءهم البينات) على
كلمة واحدة وهي كلمة الحق (واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه) بالبهجة والسرور (وتسود وجوه)
بالكآبة والحزن (فاما الذين اسودت وجوههم) وهم اهل الكفر والردة والنفاق يقال لهم: (اكفرتم بعد
ايمانكم) بالقران وكذبتم بما اتاكم الرسول (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اي بسبب كفركم. (واما الذين ابيضت
وجوههم) من اهل الايمان والمخلصين (ففي رحمة الله) جنته (هم فيها خالدون) على التأبيد. لا يظعنون ولا
يموتون. (تلك ايات الله) الواردة في الوعد والوعيد المشتملة على تعميم الابرار وتعذيب الكفار (نتلوها)
نقصها (عليك بالحق) لا شبهة فيها ولا ريب. (وما الله يريد ظلما للعالمين) اي فضلا عن ان يفعله ويظلم
وكيف يكون منه الظلم ولا ظلم الا حيث يوضع الشيء في غير موضعه ومن وضع الشيء في غير
موضعه تهدم بنيانه وزال ملكه. والملك لا ثبات له الا على العدل والنظام ووضع الشيء في موضعه.
ولو ان ملكه اسس على غير العدل لزال. ولكننا وجدنا مثل السموات والارض منه منظما دائما.
فالعدل اذن ثابت ازلا وابدا. وهذا - اي قوله وما الله يريد ظلما للعالمين - مرتبط في المعنى بقوله: فاما
الذين اسودت وجوههم الخ: اي لا يشاء ان يظلم هو عباده فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم
او ينقص من ثواب محسن. وقال الله تعالى في خلق السموات والارض بعدله (ولله ما في
السموات وما في الارض) يتصرف فيه كيف يشاء بعدله ولولاه لفنيا. وهو كما اسس ملكه
على العدل لا يبقى من الامم الا العادلة ولا يرفع عنده الا العادلون. وقال: (والى الله) اي الى
حكمه وقضائه (ترجع الامور) فيبقى الامم ما دامت نافعة عادلة ويفنيها ان ظلمت. ويثيب
ويعاقب على مقتضى ذلك. المسلمون العاملون بمقتضى القرآن الذين يعتصمون بحبل الله جميعا
ولا يتفرقون هم الداعون الى الخير الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر

فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد.

جوهري

جمل

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ١١٠ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن
يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ
مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ١١٢

(كنتم) يا امة محمد في علم الله (خير امة اخرجت) اظهرت (للناس) اي ما اخرج للناس خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم: ثم بين كونهم خير امة، انكم (تأمرون بالمعروف) الذي يرضاه الله (وتنهون عن المنكر) الذي يأباه الله. هذه هي المزية التي فضل المسلمون بها سائر الامم وهذه المزية لا تتم الا بشرطها وهو الايمان فلذلك قال (وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان به وبكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (ولو آمن اهل الكتاب) من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لكان) الايمان (خيرا لهم) مما هم عليه من حب الرياسة واستتباع العوام وحظوظ الدنيا (منهم المؤمنون) الذين فازوا بذلك كعبد الله بن سلام واصحابه الذين من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى. (واكثرهم الفاسقون) المتمردون الذين تعدوا حدود الله فباؤا بعذابه في الدنيا والآخرة. — لقد عمد رؤساء اليهود الى من آمن منهم فآذوهم فانزل الله (لن يضروكم) ايها المؤمنون (الا اذى) ضررا يسيرا وطعنا باللسان في الدين وتهديدا. واما ايديهم فقد كفها الله عنكم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين، فلا يضروكم بقتل او اسر (ثم لا ينصرون) عليكم. وقد انفذ الله هذا الامر في بني النضير وبني قريظة واهل قينقاع والنضير ويهود خيبر قد غلبوا فيهم من قتل ومنهم من نفي واخرج من الديار. (ضربت عليهم) اي اليهود (الذلة) هدر النفس والاهل والمال. وقيل ذلتهم انهم مستضعفون بين المسلمين والنصارى في جميع البلاد. (اينما ثقفوا) اين ظرف مكان ما زائدة ثقفوا فعل الشرط. اينما وجواب الشرط محذوف. اي اينما وجدوا غلبوا فلا عز لهم ولا اعتصام (الا بحبل من الله) الا متمسكين بحبل الله اي بعهد الله (وحبل من الناس) وذمة من المسلمين (وباؤا) ورجعوا (بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) شدة الذل والهوان (ذلك) اي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب (بانهم) بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله) المبينة (ويقتلون الانبياء بغير حق) وقد قتلوا في يوم واحد مائة واربعين نبيا. (ذلك بما عصوا) بسبب عصيانهم الله ورسوله (وكانوا يعتدون) حدود الله.

لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ
تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا
يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

(ليسوا سواءً) الوقف على سواء. الضمير فى ليسوا لاهل الفريقين فى قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون.
اى ليس اهل الكتاب سواء فى المعاصى. او ليس الجميع سواء اى ليس من آمن كمن لا يؤمن. وسبب
نزول هذه الاية - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما اسلم عبد الله بن سلام و ثعلبة بن سعية
واسد بن عبد ومن اسلم من يهود منهم آمنوا وصدقوا ورغبوا فى الاسلام قالت احبار
اليهود واهل الكفر منهم ما آمن بمحمد واتبعه الا اشرارنا. ولو كانوا اخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا
الى غيره فانزل الله فى ذلك ليسوا سواءً متساوين فى دينهم (من اهل الكتاب امة) جماعة مستقيمة عادلة
(يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعات الليل. وهم يصلون متهجدون. آناء ظرف ليتلون وواحدها
انى كمعى او انو كقفو. (وهم يسجدون) لله فيه (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف)
وسائر ابواب البر دنيويا واخرويا (وينهون عن المنكر) وسائر منهيات الدين (ويسارعون) ويبادرون
(فى الخيرات) انواع القربات مع فرط الرغبة فيها (واولئك) الموصوفون بذلك (من الصالحين) الذين
صلحت اعمالهم واحوالهم عند الله (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فلن يحرموا جزاءه اى فلن
يضيع ولن ينقص ثوابه - قرأ حفص و حمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء.
والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل.
(ان الذين كفروا لن تغنى عنهم) لن تدفع عنهم (اموالهم ولا اولادهم من الله) من عذاب الله (شيئا)
فى الآخرة قل او كثر. (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ابدا. ثم قال الله سبحانه
فى كيفية عدم اغناء اموالهم: (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) اى فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء
وحسن الذكر بين الناس او ما يتقربون به الى الله وهم كافرون معاندون لسنة الرسول. اى مثل اهلاك
ما ينفقون (كمثل) اهلاك (ريح فيها صر) برد شديد (اصابت حرث) زرع (قوم ظلموا انفسهم) بالكفر
(فاهلكته) فلم تنالهم منه منفعة (وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) لتضييعهم الايمان بالكفر.

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم
تعقلون ١١٨ ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم
قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور ١١٩ ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط ١٢٠

ان الله بما

اخرج ابن جرير وابن اسحق عن ابن عباس قال: كان رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من اليهود
لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فانزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم:
(يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة) احبابا تطلعونهم على ما في بطونكم - اي بطانة كانت (من
دونكم) من دون المسلمين. هذه من النصيحة للمؤمنين ان لا يتخذوا لهم من غير المسلمين من
المنافقين واليهود اصدقاء يفشون لهم اسرارهم (لا يألونكم) الا في الامر يألو - اي لا يقصرونكم
لكم في الامر (خبالا) فسادا تمييز - يعني لا يقصرون في فساد دينكم. (ودوا ما عنتم) تمنوا
عنتكم - اي شدة المضرة والمشقة عليكم. (قد بدت) ظهرت (البغضاء) العداوة لكم (من افواههم)
من تفلت السنتهم بشتمهم لكم وغيبتكم (وما تخفي صدورهم) من بغضكم وعداوتكم (اكبر) مما ابدوه (قد
بينا لكم الايات) على شدة عداوتهم لكم (ان كنتم تعقلون) ما بينا وذكرناه لكم. (ها) للتنبيه (انتم اولاء) اسم
الاشارة منادى اي انتم يا اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وغيرهم (تحبون) فتفشون لهم اسراركم (ولا
يحبونكم) فلا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) ومن جملته كتابهم وهم لا يؤمنون بكتابكم.
(واذا لقوكم) في مجتمع او طريق (قالوا امنا) اظهروا الايمان (واذا خلوا) فارقوكم (عضوا عليكم الانامل من
الغيظ) تأسفا حيث لم يجدوا طريقا الى مضرتكم في دينكم (قل موتوا) يا اعداء الله (بغيظكم) دعاء بازدياد
غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله (ان الله عليم بذات الصدور) يعلم ما في الصدور من الحنق والبغضاء
وما يسرونه بينهم وما هو اخفى من ذلك وهو ما يسرونه في قلوبهم (ان تمسسكم) تصبكم (حسنة)
رخاء وخصب - نعمة وسرور (تسؤهم) تغضبهم وتحزنهم (وان تصبكم سيئة) من ضر وشدة (يفرحوا
بها) عليكم شماتة. فاذا علمتم ذلك منهم فلا تتخذوهم اصفياء واصدقاء وامتنعوا من موالاتهم.
(وان تصبروا) على عداوتهم وعلى مشاق التكاليف في دينكم (وتتقوا) الله باجتناب موالاتهم وما
حرم الله عليكم (لا يضركم كيدهم) ومكرهم وعداوتهم (شيئا) وكنتم في حفظ الله وكنفه (ان الله بما يعملون)
من عداوتكم. وفي قراءة بالتاء - بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) عالم اي محيط علمه.
وقراءة يعملون بالياء اتفق عليها العشرة. وقراءة التاء شاذة وهي قراءة الحسن البصري. والوقف تام.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١

(واذكر) اذ غدوت من اهلك) اى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوئ) تنزل (المؤمنين مقاعد) مواضع (للقتال) فتتخذ عسكرا وتسوى صفوفهم (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بنياتكم.

روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه ودعا عبد الله بن ابى سلول ولم يدعه من قبل فاستشاره فقال عبد الله بن ابى سلول (كبير الانصار) يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه. فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين) وكان رسول الله اميل الى هذا الرأى وقال بعض اصحابه: اخرج بنا الى هذه الاكيلب لئلا يروا انا جبنا عنهم وضعفنا وخفنا هم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انى رايت فى منامى بقرا فأولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ورايت انى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت. فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل فى جانب الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وصفهم وامر عليهم عبد الله بن جبير على الرماة. وقال: ادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ثم قال: اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينتموهم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام. فلما علم عبد الله بن ابى بن سلول شق عليه مخالفة رأيه وقال لاصحابه: اطاع الولدان وعصانى. واشار على قومه ان ينهزموا اذا رأوا العدو وحينئذ يتبعهم بقية الجيش وفى ذلك ما يبقى قول النبى صلى الله عليه وسلم انهم اذا عاينوكم ولوا الادبار. وكان عسكر المسلمين الفا وعسكر المشركين ثلاثة آلاف وانخذل عبد الله بن ابى سلول ثلثمائة من اصحابه المنافقين وثبت الله البقية وهم سبعمائة حتى لحقوا المشركين وحينئذ طمع المؤمنون ان تكون هذه كوقعة بدر فطلبوا المدبرين مخالفين النبى صلى الله عليه وسلم فرجع المشركون وكروا على المسلمين فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من اصحابه كابى بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد رضى الله عنهم وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف - وكان ما كان وصار ما صار من غزوة احد. وقد واعدهم صلى الله عليه وسلم بالنصر ان لم يتركوا من موضعهم. وجرى ما قدره الله فى ذلك اليوم.

اذ همت طائفتان ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ١٢٢ ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ١٢٣ اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة
الاف من الملئكة منزلين ١٢٤ بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملئكة مسومين ١٢٥ وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم ١٢٦

(اذ) بدل من اذ قبله - او ظرف متعلق بقوله «والله سميع عليم» فهو تعالى يقول انى اعلم (اذ
همت طائفتان) بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانتا جناحى العسكر (منكم ان تفشلا)
تجبنا عن القتال وذلك حين رجع عبد الله بن ابى ومعه ثلثمائة اصحابه المنافقون وهما ان يرجعا معهم
وانى اعلم ان فى قلوب هاتين الطائفتين لم يخرج عن حديث النفس وما كان من حديث النفس فليس
بذنب فلذلك اعقبه بقوله (والله وليهما) حافظهما عن الانفشال والرجوع معهم فلم يرجعا (وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) فليكن جميع المؤمنين متوكلين على الله اذا فرغوا من المشاورة واجمعوا امرهم بينهم
ولا يترددوا بعد تمام المشاورة (ولقد نصركم الله) ايها المؤمنون (ببدر) موضع بين مكة والمدينة وكانت
وقعتها فى السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة (وانتم) ثلثمائة وبضعة عشر
او ثلاثة عشر رجلا (اذلة) لقلة سلاحكم ومراكبكم وعددكم واموالكم وكان الجماعة منكم يتعاقبون
على البعير الواحد. اما عدوكم زهاء الف مقاتل مع كثرة عددهم وعددهم (فاتقوا الله) واثبتوا
اذا لقيتم العدو. (لعلكم تشكرون) نعمه عليكم (اذ تقول للمؤمنين) ظرف متعلق بنصركم. يقول
الله تعالى «ولقد نصركم الله ببدر» حين قلت للمؤمنين تقوية للمؤمنين لتثبتهم: (الن يكفيكم
ان يمدكم) يؤيدكم ويعينكم (بثلاث الاف من الملئكة منزلين من السماء لنصركم. قرأ ابن عامر
بتشديد الزاى مع فتح النون (بلى) جواب عن الاستفهام الانكارى. اى يكفيكم ذلك (ان تصبروا
وتتقوا) الله عند لقاء العدو (ويأتوكم) الكفار (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه. وفورهم مصدر فارت
تفور القدر اذا غلت فاستعير للسرعة. (يمددكم ربكم) فى بدر (بخمسة الاف من الملائكة مسومين)
معلمين انفسهم وخيلهم بعلامة تعرف فى الحرب بعمائم صفر. روى ابو نعيم عن عروة بن الزبير كانت
عمامة جبريل يوم بدر صفراء (وما جعله الله) اى امدادكم بالملائكة (الا بشرى لكم) بالنصر
(ولتطمئن) تسكن (قلوبكم به) الى الله من الخوف (وما النصر) على الاعداء (الا من عند الله) لا
من العدة والعدد. يعطيه من يشاء فلا حاجة فى نصركم الى مدد او عدد. فنظر العامة
الى الاسباب اكثر. فاما الخاصة فانهم يعلمون ان النصر من الله (العزيز) الغالب فى امر (الحكيم) فى اعطائه.

ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ١٢٧ ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ١٢٨ ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ١٢٩

وانما نصركم يوم بدر بقتل بعض واسر آخرين فانكم قتلتم سبعين واسرتم سبعين من قضاديد قريش (ليقطع) ليهلك (طرفا) طائفة (من الذين كفروا) بالقتل او بالاسر. — (او يكبتهم) يخزيهم ويغيظهم. والكبت شدة الغيظ (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين. (ليس لك من الامر شئ) نزلت حين كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الكريم وجعل يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو ان يدعو عليهم فقال الله له ذلك لعلمه ان فيهم من يؤمن (او يتوب عليهم) فاسلم منهم بعد ذلك من اسلم. (او يعذبهم) ان اصروا على الكفر (فانهم ظالمون) مستحقون للتعذيب بما فعلوا. — وفي هذه الاية تسلية لامور كثيرة. فمنها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عامر بن الطفيل لما قتل هو ومن معه سبعين رجلا من اصحابه اذا رسلهم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد وانما بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وكان اميرهم المنذر بن عمرو. وروى البخاري عن ابن عمر انه كان يدعو عليهم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد. وروي انه قنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على تلك القبائل. فهذه الامور واشباهها احزنت النبي صلى الله عليه وسلم. فقال الله له: ليس لك من الامر شئ الاية. فانا انما ابتليت بعضكم ببعض وامرتكم بالجهاد لحكم اردتها فاذا استجبت دعاءك فاستأصلتهم لم يكن ذلك موافقا لسبق حكمي بان جعل منهم نسلا يدخلون في دينك ويحفظون شريعتك. (ولله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا فله الامر لا لك فربما هداهم فغفر لهم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له (ويعذب من يشاء) ان يعذبه (والله غفور) لعباده المؤمنين (رحيم) بهم فضلا واحسانا منه. فلا تبادر الى الدعاء عليهم.

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ١٣٠ واتقوا النار
التي أعدت للكافرين ١٣١ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ١٣٢ وسارعوا إلى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ١٣٣ الذين ينفقون في السراء
والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ١٣٤ والذين إذا فعلوا
فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ١٣٥ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ١٣٦.

(يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) قرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة بالتشديد. اى لا تزيدوا زيادة مكررة. فانهم كانوا في الجاهلية عند حلول الدين يزيدون المال ويؤخرون الاجل فاذا كان على الانسان دين وجاء اجله ولم يكن للمديون ما يؤدى قال له صاحب المال زدني في المال وانا ازيدك في الاجل ويفعلون ذلك مرارا. فصير الدين اضعافا مضاعفة. وهذه اشارة الى تكرير التضعيف وقيد التوبيخ لا تقييد التحريم اى ليست المراد ان هذا النوع من الربا حرام دون غيره. وكان اصل الربا حراما وان لم يضاعف هذه المضاعفة لان هذا النهى عن امر واقع كانوا يفعلونه (واتقوا الله) باجتنابه وتركه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح في الدنيا والاخرة برضائه (واتقوا النار التي اعدت للكافرين) المتعدين لحدود الله المعاملين بالربا كما كان في الجاهلية واطيعوا الله والرسول) بترك المحرمات كالربا ونحوه. وفعل الصدقات. وطاعة الرسول فيما يأمركم به وينهاكم عنه من اكل الربا خلاف الربا المذكورة في الاية. (لعلكم ترحمون) الى راجين التوصل الى رحمته وثوابه. (وسارعوا) باذروا (الى مغفرة) الى ما يوجب المغفرة (من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) اى كعرضها ولهذا كالتمثيل على سعتها للمبالغة (اعدت) وهيئت (للمتقين) الله (الذين ينفقون) اموالهم في سبيل الله (في السراء) في الرخاء (والضراء) في الشدة. اى في جميع الاحوال (والكاظمين) المسكنين (الغيظ) مع القدرة وفي الحديث من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا رواه ابن ابى الدنيا. (والعافين) التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته (من الناس) وفي الحديث من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم القيامة. رواه الطبراني. (والله يحب المحسنين) اى جنسهم ومنهم هؤلاء (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم) بذنب صغير (ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر) اى لا يغفر (الذنوب الا الله - ولم يصروا) ولم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب (وهم يعلمون) انها معصية (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنة تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) ذلك الجزاء

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ١٣٧
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ١٣٨ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان
كنتم مؤمنين ١٣٩ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين
الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ١٤٠ وليمحص
الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ١٤١ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ١٤٢

ونزل في هزيمة احد (قد خلت) مضت في الامم الماضية (من قبلكم سنن) وقائع سنها الله بالهلاك
لاجل مخالفتهم الانبياء (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بما يرون
من آثار هلاكهم (هذا) الذي ذكرناه لكم في القرآن (بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)
البيان دلالة تفيد ازالة الشبهة. والهداية بيان طريق المأمور بسلوكه. والموعظة الكلام الذي
يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. (ولا تهنوا) من وهن يهن باب وعد يعد. اي
ولا تضعفوا في الجهاد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم (وانتم الاعلون) لكم الغلبة على اعدائكم
(ان كنتم مؤمنين) مصدقين موقنين بان ناصركم الله فثقوا بالله وتوكلوا عليه (ان يمسسكم
قرح) جراح يوم احد (فقد مس القوم) الكفار (قرح مثله) يوم بدر. فالذي اصاب الكفار ببدر اعظم لانه
اسر منهم سبعون وقتل سبعون والمسلمون في احد قتل منهم سبعون واسر عشرون. جل. قرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف. وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم الهزال. بيضاوي. (وتلك الايام) ايام الدنيا (نداولها بين الناس) نصرفها بينهم
نديل لجماعة يوما ويوما لآخرين - كما قيل: يوم لك ويوم عليك = سنة مر وسنة عل (وليعلم الله
الذين امنوا) اي وليتميز المؤمن المخلص عمن يرتد عند ما يصيبه في الجهاد. - اخرج ابن ابي حاتم
عن عكرمة قال: لما ابطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فاذا رجلان مقبلان على بعير فقالت
امرأة: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالا: حي. قالت فلا ابالي يتخذ الله من عباده الشهداء
ونزل القرآن على ما قالت: (ويتخذ منكم شهداء) يكرم الناس منكم بالشهادة - القائل فيهم صلى
الله عليه وسلم: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة
وعشيا» رواه احمد وغيره عن ابن عباس. ج. (والله لا يحب الظالمين) المضمرين خلاف ما اظهروه.
(وليمحص الله) وليطهر (الذين امنوا) من الذنوب اذا كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين)
ويهلكهم. (ام حسبتم) بل احسبتم (ان تدخلوا الجنة) بلا قتال ولا جهاد في سبيله (ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا. وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية. والفرق بين لما ولم
ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع. بيضاوي - نسفي

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ١٤٣ وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر
الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ١٤٤ وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ١٤٥ وكاين من نبي قاتل
معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ١٤٦
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين ١٤٧ فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين ١٤٨

(ولقد كنتم) ايها المؤمنون الذين لم يحضروا بدرا (تمنون الموت) تتمنون ان ياتيكم جهاد مثله (من قبل ان تلقوه)
وتشاهدوه يوم احد (فقد رايتموه) معاينين له حين قتل من قتل من اخوانكم (وانتم تنظرون) من قتل فلم
جبنتم. توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا فانهزموا عنها. ولما رمى رمى عبد الله بن
قميئة الحارثي رسول الله بالحجر فكسر رباعيته وشجه. فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب
الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم. فاعلن ابن قئية الى الناس
فانكفأ الناس وانهزموا وجعل الرسول يدعوهم الى عباد الله! فنزل قوله (وما محمد الا
رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) فمنهم من مات ومنهم من قتل ولقد بقي اتباع الرسل
على اديانهم بعد ما خلت انبياؤهم (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) ارتددتم عن
دينكم (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) بل ضرر على نفسه (وسيجزي الله الشاكرين).
كما فعل انس بن النضر عم انس بن مالك اذ قال يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما
تصنعون بالحياة بعده فقاتل حتى قتل. (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) موقتا
(ومن يرد ثواب الدنيا) باعماله (نؤته منها) النصر الذي قسمناله (ومن يرد) باعماله (ثواب الآخرة)
(نؤته منها) حظها (وسنجزي الشاكرين) لنعمائنا (وكاين) اي وكم (من نبي قاتل معه ربيون كثير)
جماعات كثيرة (فما وهنوا) جبنوا (لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن العدو (وما استكانوا)
وما خضعوا للعدو (والله يحب الصابرين) عند وقوع الاهوال (وما كان قولهم) عند ورود
الاهوال (الا ان قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا) تعدينا الحدود (في امرنا وثبت
اقدامنا) حين تلاقي اعدائنا (وانصرنا على القوم الكافرين) اعدائك (فاتاهم الله ثواب
الدنيا) بالنصر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) في الجنة (والله يحب المحسنين) في جميع

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ تُطِيْعُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يَرُدُّوْكُمْ عَلٰٓى اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا
خٰسِرِيْنَ ١٤٩ بَلِ اللّٰهُ مَوْلٰىكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّٰصِرِيْنَ ١٥٠ سَنُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
بِمَآ اَشْرَكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا وَمَاْوٰىهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظّٰلِمِيْنَ ١٥١
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهٗٓ اِذْ تَحُسُّوْنَهُمْ بِاِذْنِهٖ حَتّٰٓى اِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ
بَعْدِ مَآ اَرٰىكُمْ مَّا تُحِبُّوْنَ مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ ١٥٢

نزلت هذه الاية فى المنافقين اذ قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم
واستكينوا لابى سفيان واشياعه ولو كان محمد نبيا لما قتل (يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا) وتستامنوهم على ما يريدونه منكم (يردوكم على اعقابكم) الى الكفر والضلال. وهكذا
كل كافر ان تطيعوهم يردوكم الى دينهم (فتنقلبوا خاسرين) ان تبعتموهم. ولقد حقت الكلمة على
فى زماننا وفى ناحيتنا اذ طاوعوا المعرنجة زينوا للمسلمين كل فسوق وفجور ولا يزالون يقلدونهم حتى
انسوا ذكر الله الا ساء ما يعملون. فقد خسروا خسرانا مبينا. (بل الله مولاكم) متولى امركم (وهو خير الناصرين)
فاطلبوا النصر منه. قال الله تعالى (سنلقى) نقذف (فى قلوب الذين كفروا الرعب) المخوفة بعد ارتحالهم
من احد. نادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت. فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء
الله. ولما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا واراد وا ان يرجعوا فالقى الله الرعب فى قلوبهم (بما
اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) حجة وبرهانا على عبادتهم بما اشركوا به. (ومأواهم
النار وبئس مثوى) مأوى (الظالمين) النار. لما اجتمع المؤمنون بعد رجوعهم المدينة وقال بعضهم
لبعض من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر، فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) ايلكم بالنصر
(اذ تحسونهم) تقتلونهم (باذنه) بارادته وتأييده (حتى اذا فشلتم) وجبنتم فخالفتم وانطلقتم من
اماكنكم الى الغنيمة (وتنازعتم فى الامر) الذى امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا
يتحرك الرماة من مواضعهم (وعصيتم) ما اشار عليكم الرسول (من بعد ما اراكم) الله (ما تحبون) من
الظفر والغنيمة وانهزام العدو فكنتم فريقين (منكم من يريد الدنيا) فترك محل ما اجلس وذهب
للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) فثبت كما امره النبى صلى الله عليه وسلم حتى قتل كعبد الله
بن جبير امير الرماة ومن معه (ثم صرفكم) اردكم (عنهم) فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحنكم اتصبرون
(ولقد عفا عنكم) بما ارتكبتم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبوله توبتهم.

إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ١٥٣ ثم أنزل عليكم من
بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون
في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص
ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ١٥٤

اذكروا (اذ تصعدون) تبعدون في الارض هاربين (ولا تلوون على احد) ولا تلتفتون على احد (والرسول)
محمد (يدعوكم في اخراكم) من خلفكم يقول: الى عباد الله من يكر فله الجنة. فانحازت اليه طائفة من اصحابه
فالامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار (فأثابكم) جازاكم (غما) بهزيمتكم وما فاتكم من الفئ والغنيمة وما
سمعتم من الارجاف بمقتل الرسول (بغم) بسبب اغتمامكم حين خالفتموه بتركم الاماكن التي اجلسكم فيها.
لكيلا تحزنوا لئلا تأسفوا (على ما فاتكم) من الغنائم ترجونها (ولا ما اصابكم) من هزيمة وقتل وهزيمة
(والله خبير بما تعملون) فالذ لك جعل عملكم بين السار والضار ابتلاء بالنعم وامتحانا بالنقم في سائر الاوار
حياتكم. (ثم انزل عليكم من بعد الغم) الذي دخل عليكم (امنة) امنا احد (نعاسا) فكانوا ينعسون (يغشى)
ذلك النعاس (طائفة منكم) هم المؤمنون. عن ابي طلحة رضي الله عنه قال: كنت فيمن يغشاهم النعاس
يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه، يسقط وآخذه. (وطائفة) وهم المنافقون
(قد اهمتهم) حملتهم (انفسهم) لا يهتمون الا بنجاة انفسهم دون نجاة النبي واصحابه (يظنون بالله)
ظنا (غير الحق ظن الجاهلية) اي كظن اهل الجاهلية (يقولون هل لنا من الامر من شيء) اي ما
لنا معاشر المسلمين من امر النصر والغلبة على العدو شيء فنغلبهم كما وعدنا (قل ان الامر)
كل النصر والغلبة وغيره (كله لله) بيد الله (يخفون في انفسهم) من العداوة خوفا من
السيف (ما لا يبدون لك) خوفا منك (يقولون) لعنهم الله في انفسهم او بعضهم لبعض (لو كان
لنا من الامر شيء باختيارنا ومرادنا (ما قتلنا ههنا) اي غلبنا في هذه المعركة (قل) لهم
(لو كنتم في بيوتكم) في المدينة (لبرز) لخرج (الذين كتب عليهم القتل) منكم (الى
مضاجعهم) اي الى مصارعهم التي يقتلون فيها (وليبتلي) يختبر (الله ما في صدوركم)
قلوبكم حتى يتبين من الصحيح ايمانه والدخيل في ايمانه (وليمحص) يظهر (ما
في قلوبكم) من الشك والارتياب (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها وانتم لا تعلمون.
فالله عالم من الازل وانتم تعلمون الآن بما يظهر من العمل.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا
اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ
اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلْتُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ
لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨.

(ان الذين تولوا) انهزموا (منكم) عن قتال العدو (يوم التقى الجمعان) باحد جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع ابى سفيان (انما استزلهم) استخفهم ودعاهم الى الزلة (الشيطان ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة وكان الذين تركوا مراكزهم تبعهم اكثر المحاربين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وكان فيهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص. (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن ابى واصحابه (وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا) سافروا (فى الارض) للتجارة او غير (او كانوا غزا) جمع غاز - واصابهم موت او قتل: (لو كانوا عندنا) لو لم يخرجوا من عندنا (ما ماتوا) كما ماتوا فى سفرهم (وما قتلوا) كما قتلوا فى غزوهم (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اى قالوا ذلك لان يكون عاقبته حسرة وندامة فى قلوبهم. فرد الله عليهم قائلا (والله يحيى ويميت) اى ليس السفر والغزو هما سبب الموت ولا الاقامة سبب الحياة ومن كتب عليه الموت او القتل لابد ان يصيبه (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم (ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم) فى سبيله لاعلاء كلمته (لمغفرة من الله ورحمة تنالونها بالشهادة (خير مما يجمعون) من الدنيا. (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) فينزلكم المنازل العلية ويشهدكم المشاهد البهية. وعند احمد والترمذى عن عمر «الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذى يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا - ورجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فكانما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن اتاه سهم غرب فقتله فهو فى الدرجة الثانية - ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الثالثة - ورجل مؤمن اسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة (صحيح). وعند احمد والطبرانى والحاكم عن ابن عباس «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» صحيح.

متم - بضم الميم من مات يموت كقال يقول من باب قتل يقتل. وبكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف من باب علم يعلم. بكسر الميم قرأ نافع حمزة والكسائى: لغتان.

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ١٥٩
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ١٦٠

(فبما) ما زائدة - فاصلة للتاكيد - اى فبرحمة (رحمة) عظيمة (من الله) انزلها عليك
وبعثك بها تدل ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو توفيقه للرفق بهم حتى اغتم
لهم بعد ان خالفوه. وفي تاريخ البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انما بعثت
رحمة ولم ابعث عذابا» وفي الادب للبخاري قال صلى الله عليه وسلم: «انما بعثت صالح
الاخلاق» هما عن ابي هريرة (لنت لهم) النت جانبك لهم وعاملتهم بالطف المعاملات
وخالقتهم بمكارم الاخلاق وقلت: انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (ولو كنت فظا)
سيئ الخلق شديد القول لهم. والفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا (غليظ
القلب) قاسي القلب على العباد. والغلظة التكبر (لانفضوا من حولك) تفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك. (واستغفر لهم) فيما يسيئون
مع الله. (وشاورهم في الامر) اى في امر الحرب وفي كل ما يعن ان يشار فيه لتطييب
خواطرهم وفي الحديث: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد»
رواه الطبراني في الاوسط عن انس. (فاذا عزمت) على فعل امر بعد المشاورة (فتوكل
على الله) ثق بالله في امضاء ما هو اصلح لك لا بالمشاورة (ان الله يحب المتوكلين)
الواثقين به فينصرهم ويهديهم الى الصلاح. والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الامور
اليه. (ان ينصركم الله) على اعدائكم كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم. وانما
يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته. اه نسفي. (وان يخذلكم) كما خذلكم
يوم احد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه هذا تنبيه على ان الامر كله لله
وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بامضاء ما عزموا عليه بعد التفكير
واخذ سائر اسباب الحيطة وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر
سواه فانه يكفيهم كل مؤنة.

وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا
يظلمون ١٦١ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير ١٦٢
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ١٦٣ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ١٦٤

اخرج ابوداود والترمذى وحسنه عن ابن عباس قالت نزلت هذه الاية فى قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها. فانزل الله (وما كان لنبى)
وما صح وما ينبغى لنبى (ان يغل) يخون فى الغنيمة فلا تظنوا به والنبوة تنافى الخيانة (ومن يغلل)
يخون. يأخذ من الغنيمة شيئا كالدنار (يأت بما غل) بالشئ الذى غله (يوم القيمة) حاملا له يحمله
على ظهره. - وعند احمد عن عبد الله بن انيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غل بعيرا او
شاة اتى يحمله يوم القيمة». ج. وروى الشيخان عن ابى هريرة قال: قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال: «لا الفين احدكم يجئ يوم
يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثنى. فاقول لا املك لك من
الله شيئا قد ابلغتك. لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول
الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك. لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على
رقبته شاة لها ثغاء فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول
لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول
يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك. لا الفين احدكم يجئ يوم القيامة
على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا» والرغاء صوت
البعير. والثغاء صوت الشاة. والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة. اهـ من الخازن. الحمحمة صوت الفرس.
(ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ما كسبت (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب (أفمن
اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء) رجع (بسخط) بغضب (من الله) بسبب المعاصى (ومأواه
جهنم وبئس المصير) المرجع - هى. (هم درجات) ذوو درجات (عند الله) مختلفو المنازل (والله
بصير بما يعملون) عالم باعمالهم فيجازيهم بقدر نياتهم. (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث)
ارسل (فيهم رسولا من انفسهم) من جنسهم (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من دنس
النفوس (ويعلمهم الكتاب) القرآن فيدركون ما فيه من المعانى الظاهرة والباطنة (والحكمة) من
السنة فيعرفون سرها وبركتها (وان كانوا) ان مخففة - اى وانه كانوا (من قبل) اى قبل
بعثته (لفى ضلال مبين) ظاهر - ميل عن الحق ظاهر.

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قدير ١٦٥ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين ١٦٦ وليعلم الذين نافقوا
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ۖ قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ۗ هم للكفر يومئذ
أقرب منهم للإيمان ۚ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ۗ والله أعلم بما يكتمون ١٦٧ الذين
قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ۗ قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ١٦٨

أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه. فأنزل الله (أولما أصابكم) الاستفهام انكاري داخلة في التقدير - أقلتم ما قلتم حين أصابتكم (مصيبة) يوم احد بان قتل منكم سبعون (قد أصبتم) يوم بدر (مثليها) من أعدائكم قتلتم سبعين وأسرتم سبعين من كفار مكة (قلتم) يوم احد حين أصبتم: (أنى هذا) من اين لنا هذا أصابنا ونحن مسلمون ورسول الله بين اظهرنا (قل هو من عند انفسكم) لمخالفتكم بتركم المكان الذي أمركم به رسول الله (ان الله على كل شئ قدير) يقدر على الضر ومنعه (وما أصابكم) من قتل وجراح يوم احد وهو (يوم التقى الجمعان) جمع المشركين وجمع المسلمين (فباذن الله) فهو كائن بقضائه وقدره ليبتليكم (وليعلم المؤمنين) بذلك الاختبار ويظهر امرهم (وليعلم الذين نافقوا) بذلك الاختبار ويظهر ما اخفوه ويتميز المؤمنون والمنافقون (وقيل لهم) اى للمنافقين وهو عبد الله بن ابي ومن معهم، قال له المسلمون: (تعالوا قاتلوا) الكفار معنا (في سبيل الله) للآخرة والطلب اعلى كلمته (او ادفعوا) عن أنفسكم واهليكم واموالكم (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) كما روى ان عبد الله بن ابي بن سلول لما انخذل باصحابه يوم احد قال ما ندري علام نقتل انفسنا. تبعه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري من بني سلمة وهو يقول: يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه، اجابه قائلا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم. فقال الله تعالى (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون) من سوء افعالهم ونفاقهم وما يخلو به بعضهم الى بعض. وهم (الذين قالوا لاخوانهم) يوم احد (وقعدوا) عن القتال: (لو اطاعونا ما قتلوا) كما لم نقتل نحن لما قعدنا وهؤلاء هم عبد الله بن ابي واشباهه (قل فادرؤا) ادفعوا (عن انفسكم الموت) الذي سيأتيكم (ان كنتم صادقين) انكم تقدرون ان تدفعوا القتل عمن كتب

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ١٦٩ فرحين بما
آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ١٧٠
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ١٧١

روى احمد وابو داود والحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلوا عن الحرب، فقال الله انا ابلغهم عنكم فانزل الله هذه الايات - ولا تحسبن الذين قتلوا. الاية وما بعدها. وروى الترمذي عن جابر نحوه. (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) لاعلاء كلمة الله ولاجل دينه (امواتا) كالذين قتلوا في احد والذين قتلوا ببدر (بل) هم (احياء عند ربهم) حياة برزخية (يرزقون) من الجنة (فرحين) اى في حالة الفرح (بما اتاهم الله) اعطاهم (من فضله) من شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية كما ورد في الحديث عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال: «ارواح الشهداء في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش» رواه الخطيب في الخازن - فهي اى الطيور للارواح كالمهوادج للجالس فيها وهذا قد استدل به من قال ان الحياة للروح فقط. وقيل ان الحياة للروح والجسد معا واستدل له بقوله عند ربهم يرزقون يأكلون ويتنعمون. وعلى الاول امتيازهم عن غيرهم ان ارواحهم تدخل الجنة من وقت خروجها من اجسادهم. واما ارواح بقية المؤمنين فلا تدخل الا يوم القيامة. جملة (ويستبشرون) يستسرون (بالذين لم يلحقوا بهم) من اخوانهم الذين تركوهم احياء (من خلفهم) في الدنيا (ان لا خوف عليهم) من وقوع محذور (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب. والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ما حديث ابن عباس المتقدم. والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم في الآخرة وامر من تركوا من اخوانهم المؤمنين الباقين في الدنيا انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء فلا يخافون من مصائب تحل بهم ولا يحزنون لفوات منافع لهم بل لا نصب ولا حزن. استبشارهم بحال اخوانهم اخذ يذكر استبشارهم بحال انفسهم فقال (يستبشرون بنعمة من الله) لهم (وفضل) زيادة على ذلك (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) على ايمانهم.

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم ١٧٢ الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ١٧٣ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله
ذو فضل عظيم ١٧٤ انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ١٧٥

روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فغضب
النبي اصحابه الخروج فى طلب ابى سفيان لخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا وقال لا يخرجن
معنا احد الا من حضر يومنا بالامس الذى هو يوم السبت حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من
المدينة على ثمانية اميال (١٤,٧٧٦ كيلومتر) من المدينة. وكان باصحابه القرح. فتحاملوا على انفسهم
والقى الرعب على قلوب المشركين فانزل الله الاية واصفا المؤمنين (الذين استجابوا) اجابوا
(لله والرسول) فخرجوا للقتال فى العام المقبل (من بعد ما اصابهم) فى احد (القرح) الجراح (للذين
احسنوا منهم) من للبيان (واتقوا اجر عظيم) فى الاخرة. (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا
(ان الناس قد جمعوا لكم) روى ان سفيان نادى عند انصرافه من احد: يا محمد موعدنا موسم بدر
العام المقبل. فقال عليه السلام ان شاء الله. فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان فى اهل مكة فالقى الله
فى قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقدم معتمرا الى المدينة. فقال يا نعيم انى واعدت
محمدا ان نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى ان ارجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل. فلما
التقى بالمسلمين يتجهزون. فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فمنعتم المسلمون لما سمعوا
ذلك. فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معى احد. فخرج فى سبعين راكبا وفى هذا
يقول الله الذين قال لهم الناس اى ابو نعيم وعنى جمع اريد به الواحد او كان له اتباع: ان الناس اى
اهل مكة قد جمعوا لكم (فاخشوهم) فخافوهم ولا تأتوهم (فزادهم) اى زادهم ذلك القول المؤمنين (ايمانا)
ويقينا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو. هذه الجملة - قالها ابراهيم
حين القى فى النار. اه خازن. اخرج الديلمى فى الفردوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله ونعم امان لكل خائف. (فانقلبوا) رجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وسلامة
التجارة (لم يمسسهم سوء) من جرح وقتل (واتبعوا رضوان الله) بخروجهم مع رسوله (والله
ذو فضل عظيم) بزيادة الايمان والتوفيق (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) الكفار القاعدين عن الخروج معك
فلا تخافوهم وخافون) فى مخالفة امرى (ان كنتم مؤمنين) متحققين فى الايمان.

وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي
الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ١٧٧ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٧٨

ثم انزل الله هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره على تعنتهم في الكفر وتعرضهم له بالاذى - قال: (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعا حريصا عليه بنصرته وهم المرتدون المنافقون المتخلفون او هم اهل مكة. والمعنى لا تهتم لكفرهم (انهم لن يضروا الله شيئا) اى لن يضروا اولياء الله شيئا بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون انفسهم. قرأ نافع - يُحزِنك - بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء - «لا يحزنهم الفزع الاكبر» فانه فتح الياء وضم الزاى فيه. والباقون بفتح الياء وضم الزاى في الكل. حزن يحزن من باب قتل يقتل يتعدى بالحركة في لغة قريش. وفي لغة تميم يتعدى بالالف. (يريد الله ألا يجعل لهم حظا) نصيبا من الثواب (في الاخرة) في الجنة (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) اى منضما الى حرمانهم من الثواب. (ان الذين اشتروا) استبدلوا (الكفر بالايمان) اى اخذوا الكفر بدل الايمان (لن يضروا الله شيئا) من الضرر. الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار - تفيد التعميم للكفرة بعد التخصيص لمن نافق من المتخلفين او ارتد من العرب. (ولهم عذاب اليم) في الآخرة لا ينفك المه (ولا يحسبن الذين كفروا) اى ولا يحسبن الكافرون (انما نملى) نمهل ونؤخر (لهم) بتطويل الاعمار وتأخيرهم (خير لانفسهم). انما ان حرف توكيد وما اسم موصول اسم ان وخير خبرها. والجملة في موضع المفعولين ليحسبن - والتقدير لا يحسب الكافرون ان تأخيرنا لهلاكهم خير لهم. وقرأ حمزة بالخطاب والخطاب له صلى الله عليه وسلم والذين كفروا مفعول. وانما نملى بدل منه. وان وما حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع. والتقدير ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم (انما نملى) نمهل (لهم ليزدادوا اثما) بكثرة المعاصي. والجملة مستأنفة تعليل لما قبلها كانه قيل: ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم؟ فقيل انما نملى لهم ليزدادوا اثما. (ولهم) في النشأة الأخرى (عذاب مهين) مذل مخز جزاء [illegible] وعتوهم في الدنيا.

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ١٧٩
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ١٨٠

ثم لما اختلط المنافقون مع المؤمنين وتشاركوا معهم في اظهار الايمان والقول به على طرف اللسان
بلا اعتقاد منهم واخلاص اراد سبحانه ان يبين المؤمن ويميزه من المنافق والمخلص من المرائي فقال:
(ما كان الله ليذر) ليترك (المؤمنين) المخلصين (على ما انتم عليه) من التباس والمشاركة مع اهل الكفر والنفاق
بحسب الظاهر بل يختبر ويمتحن اخلاصكم بانواع البليات والمصيبات (حتى يميز) ويفصل (الخبيث) المنافق
المصر على النفاق (من الطيب) المؤمن الموقن بتوحيد الله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعلمون
قبل التمييز المنافق من المؤمن (ولكن الله يجتبي) يصطفي (من رسله من يشاء) فيوحي اليه ويخبره
بان في الغيب كذا. فيعلم ان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص من جهة اخبار الله لا من
جهة نفسه (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص تنالوا الدرجات العلى. (وان تؤمنوا) بالله
وتحافظوا على شعائر الايمان (وتتقوا) احوال النفاق (فلكم) عند الله (اجر عظيم) هو ايصالكم
الى التحقق بمقام العبودية والتوحيد. ثم ذكر من جملة الامور التي يجب الاتقاء والتحرز عنه البخل
فقال: (ولا يحسبن) البخلاء (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو) اي بخلهم (خيرا لهم) القراءات فيه
على ما سبق ممن قرأ بالتاء ومن قرأ بالياء. اي لا يحسب البخلاء بخلهم خيرا لهم بنفعهم عند الله
ويثيبهم لاجله او يدفع عنهم العذاب بسببه (بل هو) البخل (شر لهم) يستجلب انواع العذاب عليهم في الدنيا
بقلة البركة وفي الآخرة بالعقاب. وعبارة الخطيب واختلف في المراد بهذا البخل فقال اكثر العلماء: المراد به
منع الواجب واستدلوا بوجوه احدها ان الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق الا بالواجب وثانيها
ان الله ذم البخل والتطوع لا يذم على البخل. وثالثها قال عليه الصلاة والسلام: واي داء ادوأ من البخل.
وانفاق الواجب على اقسام. منها انفاقه على نفسه وعلى اقاربه الذين تلزمه نفقتهم. ومنها الزكوات.
ومنها اذا احتاج المسلمون الى دفع عدو يقصد انفسهم واموالهم فيجب عليهم انفاق الاموال على من
يدفعه عنهم. ومنها ما يدفع ما يفسد به الرمق. الجمل. قال (سيطوقون) يسلسلون [illegible]
يوم القيامة) ويستحبون بتلك السلسلة والغل المطوق على اعناقهم الى نار جهنم (ولله ميراث السموات
والارض) ومن عليها وهو خير الوارثين. فما لهم يبخلون عليه بملكه (والله بما تعملون خبير) لا يغيب عن [illegible]

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير
حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ١٨١ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ١٨٢
الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ١٨٣

اخرج ابن اسحق وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال: دخل ابوبكر بيت المدراس. فوجد يهود قد اجتمعوا
الى رجل منهم يقال له فنحاص فقال له: والله يا ابابكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير ولو كان
غنيا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم. فغضب ابوبكر فضرب وجهه فذهب فنحاص الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي. فقال يا ابابكر ما حملك على ما صنعت
قال: يا رسول الله قال قولا عظيما يزعم ان الله فقير وانهم عنه اغنياء: فجحد فنحاص. فانزل الله
(لقد سمع الله قول الذين قالوا) استهزاء حين نزلت اية «من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له (ان الله فقير) قد استقرض منا (ونحن اغنياء) وهم جماعة من اليهود قالوا
لو كان غنيا ما استقرضنا. قال الله على سبيل التهديد والتوبيخ: (سنكتب) نأمر الحفظة بكتبة ما
قالوا في صحائف اعمالهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) فيما مضى في صحائف اعمالهم ونجازيهم يوم الجزاء.
(ونقول) لهم وقت جزائنا اياهم (ذوقوا عذاب الحريق) المحرق. (ذلك) العذاب (بما قدمت)
اكتسبت (ايديكم) من قتل الانبياء والمعاصي والسيئات (و) اعلموا (ان الله ليس بظلام للعبيد)
بل يعذبهم على ذنوبهم وطغيانهم. (الذين قالوا) افتراء على الله في تعليل عدم ايمانهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم - وهم كعب بن الاشرف ومالك وهي وفنحاص ومعهم بعض من اليهود.
: (ان الله عهد الينا) في التوراة واوصانا (ان لا نؤمن) ولا نصدق (لرسول) نصدق
برسالته (حتى يأتينا بقربان) وهو ما يتقرب به العبد الى الله من اعمال البر من نسك
وصدقة وذبح وكل عمل صالح (تأكله النار) اي فيتقرب النبي يدعو والناس حوله فان
قبل تنزل النار من السماء فاحرقته والا بقي مكانه. (قل) لهم تبكيتا وتوبيخا (قد جاءكم
رسل من قبلي بالبينات) المعجزات والدلالات (وبالذي قلتم) اردعيتم (فلم قتلتموهم)
فقتلوهم ابآؤكم وانتم الآن راضون بما فعلوه. (ان كنتم صادقين)
في دعائكم موقوف على هذه المعجزة وادعائكم الدخول في الايمان عقيب الاتيان.

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب المنير ١٨٤ كل
نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ١٨٥ لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور ١٨٦ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ١٨٧
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم ١٨٨

قال الله عز وجل في تسليته صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) ايها الرسول وانكروا عليك فلا تبال
بتكذيبهم وانكارهم (فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) المعجزات الظاهرات (والزبر)
الصحف المشتملة على الحكمة كصحف ابرهيم (والكتاب المنير) الواضح . (كل نفس) مؤمنة
او كافرة - خيرة كانت او شريرة (ذائقة) كأس (الموت) عند حلول الاجل المقدر له (وانما توفون
تعطون (اجوركم) جزاء اعمالكم (يوم القيمة) يوم قيامكم من القبور . واما بعض الاجور الذي
هو معجلها فقد يكون قبل ذلك لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران . (فمن زحزح) ابعد (عن النار وادخل الجنة) دار الرضوان (فقد
فاز) فوزا حقيقيا بالنجاة ونيل المراد . وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم : من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه . بيضاوي (وما الحيوة الدنيا) لذاتها وشهواتها (الا متاع الغرور) لمن اثرها على الاخرة فاما
من طلبها بالاخرة فهي له متاع بلاغ (لتبلون) لتختبرن (في اموالكم) بالانفاق وما اصيبها من الافات
كدود الزرع والجراد (وانفسكم) بالجهاد والقتل والجراح والمرض والخوف (ولتسمعن) اخبارا ووقائع
(من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا . وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور) التي يجب عزم عليها . (و) اذكر وقت (اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب)
احبار اليهود والنصارى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه . فنبذوه) اي الكتاب والميثاق
واشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا (فبئس ما يشترون) وفي الحديث «من كتم علما عن اهله الجم بلجام
النار» (لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمنجاة (من العذاب ولهم عذاب اليم) يعم كفرهم

وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١٨٩﴾ اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِي الْاَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا ۚ سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

او عالم العلويات

(ولله ملك السموات) اى عالم الارواح (والارض) اى عالم الطبيعة والاشباح وهى العالم السفلى، وله التصرف فى امرهما كيف يشاء متى يشاء بالارادة والاختيار بطشا وانتقاما وعذابا - وفيه تكذيب لمن قال: ان الله فقير ونحن اغنياء (والله على كل شئ قدير) فهو يقدر على عقابهم بلا فتور ولا قصور وليس فقيرا وهم اغنياء كما قالوا. اهـ. اخرج الطبرانى وابن ابى حاتم عن ابن عباس قال: اتت قريش اليهود فقالوا بم جاءكم موسى من الآيات. قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين. واتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى. قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص ويحى الموتى. فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا. فدعا ربه فنزلت هذه الاية (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) فليتفكروا فيها - فيها دلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول الخالصة النيرة من شوائب الحس والوهم - وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها». عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال: بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة، ثم رقد. فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال: ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب. (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) يداومون على ذكر الله فى غالب الاحوال فى القيام والقعود وفى حال نومهم على جنوبهم وليس المراد الاختصاص بهذه الاحوال بل المراد ان يعم الذكر سائر الاحوال. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل احيانه. رواه مسلم وابو داود وغيرهما. صح. وعن ابى هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة. وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة» اخرجه ابو داود. والترة النقص.

(ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اسند للاعتبار وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام تفكر ساعة خير من عبادة كالتفكر بيضاوى، فقالوا فى حال التفكر (ربنا ما خلقت هذا) الخلق (باطلا) عبثا ضائعا من غير حكمة (سبحانك) [illegible] سبحانك فقنا واحفظنا يا ربنا (عذاب النار) ودخولها.

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ۖ وما للظالمين من أنصار ۝١٩٢ ربنا إننا سمعنا منادياً
ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ۚ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع
الأبرار ۝١٩٣ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ۗ إنك لا تخلف الميعاد ۝١٩٤

ربنا انك من تدخل النار) دار عضبك للخلود فيها (فقد اخزيته) اهنته اذ للنه اهلكته و
فضيحته. وعبر بالاخزاء لما فيه من معنى الانكسار الذى يعقب الافتضاح وهو نوع من العذاب
فالعذاب بالنار المطلعة على الافئدة يخزى بالجهالة لا ينقص عن نار الجسم المحرقة للهياكل
المشاهدة. واحتج اهل الوعيد بالاية مع قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا
معه - فى ان من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد. قلنا: قال جابر اخزاد المؤمن
تأديبه وان فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) انفسهم (من انصار) من اعوان وشفعاء يدفعونهم
ويشفعونهم ويمنعونهم من دخول النار. (ربنا انا سمعنا منادياً) وهو النبى صلى الله عليه وسلم
والقرآن (ينادى للايمان) لاجل الايمان بالله - ولا منادى اعظم من منادٍ ينادى للايمان (ان آمنوا
بربكم) بان آمنوا عباد الله بالذى ربكم. وبعد ما سمعنا نداءه (فآمنا) به وصدقناه واتبعنا
ما امرنا به (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا التى اقترفناها (وكفر عنا سيآتنا) صغائرنا التى اتيناها
(وتوفنا مع الابرار) والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر او بار - كارباب جمع رب واصحاب جمع صاحب
(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) اى على السنة رسلك من الثواب - انا نخاف ان لا نكون من
الموعودين بذلك الثواب لتقصير فى امتثالنا (ولا تخزنا) يا ربنا (يوم القيمة) لا تفضحنا
امام الاشهاد يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا (انك) ربنا بمقتضى لطفك (لا تخلف الميعاد) الذى وعدته اياهم.

فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم
سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده
حسن الثواب ١٩٥

ثم لما تضرعوا الى الله والتجؤا نحوه نادى عما هم عليه من مقتضيات بشريتهم (فاستجاب
لهم ربهم) واستقبل عليهم بالاجابة والقبول الى طلبتهم قائلا (: انى) بأنى. وقرئ بكسر
الهمزة بتقدير - قال انى (لا اضيع عمل عامل منكم) معشر المصلين (من ذكر وانثى) بيان
عامل - سواء كان من ذكر او انثى (بعضكم من بعض) جملة معترضة بين بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد للعمال من الاجر لما بينهما من اتصال واجتماع واتفاق فى
الدين. نزلت لما قالت ام سلمة: يا رسول الله انى لا اسمع ذكر النساء فى الهجرة بشئ
. ثم اخذ يفصل تلك الاعمال فقال: (فالذين هاجروا) وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون
من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل الهجرة النبى وبعدها. فلما
استقر النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من
المسلمين (واخرجوا من ديارهم) بيوتهم ومنازلهم المألوفة (واوذوا) بسبب ايمانهم بى
(فى سبيلى) دينى وطريق محبتى (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد. وقرأ حمزة وخلف
وقتلوا وقاتلوا بتقديم المبنى للمفعول. (لاكفرن عنهم) لامحون عنهم (سيئاتهم) استرها
بالمغفرة (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يتنعمون فيها دائما (ثوابا) نازلا
(من عند الله) تفضلا وامتنانا عليهم لبذل جهدهم فى طلب رضاه. (والله عنده حسن
الثواب) لمن احسن المعاملة معه على الطاعات لايقدر عليه غيره فنعم المآب.
ولما كان هذا القول يدل على اقبال الله على عباده وانه يعطيهم ما سألوه فى الدارين بدليل قوله
فيما تقدم فى هذه السورة "فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة" وقوله هنا "والله
عنده حسن الثواب" فاذا كان ما عنده حسن الثواب فى الآخرة، ويؤتيهم اجورهم فى
الدنيا فكيف يرى المؤمنون تقلب الكافرين فى الارض بالتجارة ولا يختلج فى صدورهم
الوسواس ويداخلهم الريب فيما يسمعون مما يعارضه مايرون ؟

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ١٩٦ متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد ١٩٧
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله
وما عند الله خير للأبرار ١٩٨.

ولقد روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش وهم في الجهد فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد اهلكنا من الجوع. فنزل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا) انتقالهم وترحالهم (في البلاد) لاستجلاب المنافع والمتاجر ونيلهم المكاسب والمعائش، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه، كقوله « ولا تطع الكافرين » ولا تطع كل حلاف مهين، او لكل احد. والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعلت للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة. والمعنى لا تنظر الى ما الكفر عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم. اه بيضاوي. (متاع قليل) خبر لمبتدا محذوف اي ذلك التقلب - متاع قليل بلغة فانية قصيرة المدة. يتمتعون به في الدنيا يسيرا وينفنى. فان ذلك كسحابة صيف عما قليل تقشع او كسراب بقيعة او كالزبد يذهب جفاء او كقطر الندى بطرف الحشائش.

- قال عليه الصلاة والسلام « ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع » - وفي صحيح مسلم عن مستورد القرشي « ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه السبابة في اليم فلينظر بم ترجع » وفي رواية « والله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع » رواه احمد مسلم ابن ماجه عنه - صح. (ثم مأواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا) خشوا (ربهم) وخافوا من عقابه (لهم جنات تجري من تحتها الانهار) باللبن والعسل والماء والخمر (خالدين فيها) لا يخرجون منها ابد الآباد. (نزلا من عند الله). النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله من طعام او شراب وصلة. وقال ابو الشعثاء الضبي: كنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. ونصب نزلا على الحال. (وما عند الله خير للابرار) الذي توجهوا اليه بصدق واحسان واخلصوا في معاملته.

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ
خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ...

قال ابن عباس: نزلت فى النجاشى ملك الحبشة. واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية الله وذلك انه لما مات اخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه بموته فقال النبى لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف الله له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم ير قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية. اه. خازن (وان من اهل الكتاب) الكتب القديمة من الكتابين التوراة والانجيل (لمن يؤمن بالله) ولقد اسلم عبد الله بن سلام اليهودى واصحابه - واربعون من نصارى نجران - والنجاشى واثنان وثلاثون معه من الحبشة - وثمانية من الروم (وما انزل اليكم) اى يؤمنون بالقرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين التوراة والانجيل (خاشعين) خاضعين متواضعين (لله لا يشترون) لا يستبدلون (بآيات الله ثمنا قليلا) من عرض الدنيا كما يفعل الاحبار فيحرفون الاحكام واوصاف النبى حفظا للرياسة وحب مصالح الدنيوية (اولئك لهم اجرهم) جزاؤهم على عملهم (عند ربهم) ما خصوا به من انهم يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) يحاسب العباد فى مدة يسيرة. وسرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء. (يا ايها الذين امنوا اصبروا) على الطاعات وعن المعاصى وعلى ما يصيبكم من الشدائد فلا تشكوا الناس (وصابروا) وغالبوا الاعداء بالصبر عند ملاقاتهم والشيطان بمخالفة الهوى (ورابطوا) واقيموا على الجهاد واثبتوا عليه فكل يربط خيله لهم مستعدين للنزال فى الحرب واخرج البخارى والترمذى عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها. ومسلم عن سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وان مات مرابطا جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن من الفتان. والطبرانى فى الكبير عن ابى امامة رباط شهر خير من

من صيام دهر ومن مات مرابطا في سبيل الله امن من الفزع الاكبر وغدى عليه برزقه وريح من الجنة ويجرى عليه اجر المرابط حتى يبعثه الله». يقول: رابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على طاعة الله - ويلحق بالرباط في الثغور انتظار الصلاة. وفي الحديث: من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) واخشوه بترك المعاصي فانه اهل ان يخشى منه (لعلكم تفلحون) تفوزون بنيل المقامات العلى الثلاثة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة على جناب الحق لرصد الواردات. وهي المعبرة عنها بالشريعة والحقيقة والطريقة. وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في خدمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربتي. وفي الحديث اخرجه مسلم عن ابي امامة رضي الله عنه. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه، اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيابتان او كانهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما. الحديث

تم التاليف صباح يوم الجمعة ١١ شهر رمضان المبارك لسنة ١٣٨١ هجرية قمرية و ١٣٤٠ هـ شمسية الموافق لشهر فبراير سنة ١٩٦٢م. وختمت قراءته مساء يومه عند العموم.

عمله وكتبه عبد اللطيف الشكور امنت اعكت المولود في وقت سحر ليلة السبت لـ ٢٧ من شهر رمضان سنة ١٢٩٩ هجرية الموافق لـ ١٥ اغسطس سنة ١٨٨١م بشلال ايومنجور فادع فتجح.

2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

QP Card 101 v4

QP Card 101 v4

تفسير سورة آل عمران

عمل عبد اللطيف الشكور

٢١٣٨م ١٩٦١م